سلسلة

الثقافة الاسلامية

(١٤)

ثمّ عقر الجَمل ..
«وترك ما ترك»

تأليف

حسين الشاكري



سلسلة
الثقافة الإسلامية
رقم ١٤

ثمّ عقر الجَمل ..
«وترك ما ترك»

تأليف
حسين الشاكري

هوية الكتــــاب

اسم الكرّاس .... ثمّ عقر الجَمل

تأليف : .... حسين الشاكري

الناشر :................... المؤلّف

سنة الطبع :.............. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

المطبعة :.............. الأولى / ١٤١٨هـ

المطبعة :....................... ستارة

العدد :.......................... ٣٠٠٠

عنوان المؤلّف

الجمهورية الإسلامية في ايران - قم المقدّسة

زنبيل آباد - ٣٠ مترى آستانه - پلاک ٧٦

كد پستى ٣٧١٦٦

هاتف ٩٢٦٩٩٠ - تلفاكس ٩٢٧٨٧١

كُد ٠٠٩٨٢٥١

لنعمل معاً تمهيداً لعصر الظهور

الهدف من إحياء التراث الإسلامي، وإشاعة العقيدة الحقّة لمذهب أهل البيت عليهم السلام في أوساط شبابنا الحائر بين تيّارات الثقافات الغربية، الغريبة المشبّعة بسموم أفكار الصهيونية والصليبية والماركسية، بتخطيط من الماسونية العالمية.

وكذلك غزو الآراء الشاذّة الضالّة، من بعض المذاهب التي تدّعي الإسلام زوراً وبهتاناً، بدفع من الاستعمار والماسونية العالمية، بهدف التخريب والتفرقة وقطع الجسور الممتدّة بين المسلمين كافّة، وتكفير مذهب شيعة أهل البيت عليهم السلام خاصّة ..

والغرض من تسليح شبابنا الناهض للوقوف بوجه تلكم

التيّارات المنحرفة الضالّة؛ ليدافع عن مبادئه وعقيدته كما دافع عنها سلفنا الصالح وتحمّل العنت والعذاب في سبيل ذلك، لا سيّما شبابنا الذين قهرتهم الظروف العصبية والالتجاء إلى أحضان دول الكفر، لسدّ حاجاتهم البايولوجية، كالمستجير من الرمضاء بالنار..

وحتى لا تكون هجرتهم هجرة تعرّب[1]، بل تكون هجرتهم إلى الله بقصد التبليغ والدعوة إلى دين الإسلام، ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

حسين الشاكري

الفاتح من شهر الصيام

١٤١٨

---

(١) التعرّب: أي الهجرة من دار الإسلام إلى دار الكفر أينما صارت.



المُقَدِّمَةُ

موقف الإمام من تولّي الحكم

بعد مقتل عثمان ، توجّهت أنظار الثوار إلى الإمام علي يطلبون منه أن يلي الحكم ، ولكنّه أبى عليهم ذلك ، لا لأنّه لم يأنس من نفسه القوّة على ولاية الحكم وتحمّل تبعاته ، خصوصاً بعد أن رأى المجتمع الإسلامي يتردّى في هوة عميقة من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية ، بسبب سياسة ولاة عثمان خلال مدّة خلافته ، ورأى أنّ التوجيهات الإسلامية ومفاهيمها العظيمة التي عمل لها النبيّ ﷺ طيلة حياته فقدت الكثير من فاعليّتها في توجيه الناس ، وأخذت تتضاءل بعد وفاته ﷺ .

وإنّما صار الناس إلى واقعهم هذا لأنّهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التي تهيمن عليهم ، فراحوا يسعون إلى إقرار حقوقهم .

وصيانتها بأنفسه ، وهكذا انقطعت الصلة بينهم وبين الرموز المعنوية التي يجب أن تقود حياتهم ، والسبيل إلى تلافي هذا الفساد هو إشعار الناس أنّ حكماً صحيحاً يهيمن عليهم ، لتعود إلى الناس ثقتهم الزائلة بحكّامهم ، ولكن هذا لم يكن سهلاً قريب المنال ، فثمّة طبقات مستغلة منتفعة ناشئة لا تسيغ مثل هذا ، ولذلك فهي حَرِية بأن تقف في وجه كلّ منهج اصلاحي ومحاولة تطهيره .

إذن فقد كان الإمام عليه السلام يدرك نتيجة لوعيه العميق للظروف الاجتماعية والنفسية التي كانت تجتاح المجتمع الإسلامي في ذلك الحين ، ولأنّ المدّ الثوري الذي انتهى بالأُمور إلى ما انتهت إليه بالنسبة إلى عثمان يقتضي عملاً ثورياً يتناول دعائم المجتمع الإسلامي من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ومن هنا كان رفض الإمام عليه السلام وامتناعه عن الاستجابة الفورية لضغط الجماهير والصحابة عليه بقبوله الخلافة ، فقد أراد أن يضعهم أمام اختبار يكتشف به مدى استعدادهم لتحمّل أُسلوب الثورة في العمل ، لئلا يروا فيما بعد أنّه استغفلهم واستغل اندفاعهم الثوري حين يكتشفون صعوبة الشروط التي يجب أن

يناضلوا لاستئصال الفساد الذي ثاروا عليه في ظلّها [١] .

ولهذا أجابهم الإمام عليه السلام بقوله : «دعوني والتمسوا غيري ، فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول ، وإنّ الآفاق قد أغامت ، والمحجّة قد تنكرت ، واعلموا إنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغِ إلى قول القائل ، وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم ، وأنا لكم وزير خير لكم منّي أمير» [٢] .

ولكن النّاس أصرّوا عليه أن يلي الحكم ، فاستجاب لهم .

وتسلّم الإمام الحكم في مجتمع ورث الفساد بكل أبعاده ، وكانت تنتظره مشاكل معقّدة كثيرة على مختلف الأصعدة ، فعالجهم الإمام عليه السلام بسياسته الثورية الجديدة التي قرّر أن يتّبعها من أجل تحقيق الأهداف التي قَبِل الحكم لأجلها .

وقد تناولت سياسته عليه السلام الثورية ثلاثة ميادين هي :

---

(١) راجع للتوسّع ثورة الحسين /محمّد مهدي شمس الدين: ٣٥ـ٣٨.

(٢) نهج البلاغة ١: ٢١٧.

الميدان الأوّل ـ الحقوق: الذي ورث الفساد بسلب عثمان وعمّاله الحرّيات العامّة المتسلّطين على رقاب المسلمين، بالأحكام الجائرة وكبت النفوس بالإرعاب السياسي .

الميدان الثاني ـ المال: الذي نهب عثمان وعمّاله خيرات البلاد، ووزّعها على بني أُميّة ومن يدور في فلكه، وجعل الأُمّة في فقر مدقع، وحاجة ماسة .

الميدان الثالث ـ الإدارة: فقد عاث عثمان وعمّاله في الأرض فساداً بتسليط الجاهلين من بني أُميّة على رقاب الأُمّة المقهورة، حتى ثارت الأُمّة ثورتها العارمة من كلّ حدب وصوب، وحصل ما حصل.

وكانت أوّل مهامه عليه السلام إزالة صور الانحراف المختلفة التي طرأت على الحياة الإسلامية ، وأن يعود بالأُمّة إلى أصالة المنهج الإلهي ، غير أنّ أطماع الطامعين ، وحسد الحاسدين ، وضغن الحاقدين حال دون ذلك ، وخلقت للإمام عليه السلام المشاكل والحروب الثلاثة. الناكثين ، القاسطين ، والمارقين ، كما أخبره بذلك الرسول الأمين ، وإليك عزيزي القارئ وصف ذلك موجزاً ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون :

بيعة الإمام أمير المؤمنين
وما جرى بعدها

الحمد لله ، والصلاة على رسوله الأكرم وآله الأطهار .

أشرح لكم بعض الوقائع التي حدثت لأمير المؤمنين عليه السلام في الفترة التي تلت قتل الخليفة الثالث ، واستلامه عليه السلام مقاليد الخلافة الظاهرية إلى نكث الناكثين وتمرّدهم وإشعال فتنة الحرب المعروفة بمعركة الجمل .

نقم الناس على عثمان أشياء كثيرة أحدثها وابتدعها في مدّة خلافته البالغة إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً ، فضاقوا بها ذرعاً ، وثاروا عليه بعد أحداث ومجادلات كثيرة يطول شرحها أدّت إلى مقتله ، ولعلّ من أهمّ تلك الأسباب سوء تصرّفه في إدارة أُمور البلاد الإسلامية ، وتوليته أعداء الإسلام من المنبوذين والمنفيّين من أبناء عشيرته وتسليطهم على دماء

المسلمين وأعراضهم وأموالهم بصورة مستهترة مفجعة كما وصف الحال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بـ« الشقشقيّة » ، أنقل محل الحاجةِ منها حيث قال عليه السلام :

« ... إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ[1]، بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ[2]، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ[3] مَالَ الله خِضْمَةَ الإِبل نبتة الرَّبيع إلى أنِ انتكث عليه فتله ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ، وَكَبَتْ[4] بِهِ بِطْنَتُهُ[5]! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ[6] إِلَيَّ، يَنْثَالُونَ[7] عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ وُطِىءَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ[8] مُجتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ

---

(١) أي رافعاً لهما، وتقال للمتكبّر.
(٢) النثيل: الروث وقذر الدواب. المعتلف: موضع العلف.
(٣) الخضم: أكل الشيء الرطب.
(٤) من كبا به الجواد إذا سقط لوجهه.
(٥) البطنة: البطر والأشر والتخمة.
(٦) هو ما كثر على عنقها من الشعر، وأراد (ع) الكثرة والازدحام.
(٧) أي يتتابعون.
(٨) أي شقَّ جانباه من الاصطكاك.

الْغَنَمِ(١)، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَىٰ وقسط آخرون(٢): كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

بَلَى! وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلكِنَّهُمْ حَلِيتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا!

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ(٤)، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا(٥) عَلَىٰ كِظَّةِ(٦) ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ(٧)

---

(١) هي الطائفة الرابضة من الغنم.

(٢) الناكثة أصحاب الجمل، والمارقة أصحاب النهروان، والقاسطون ـ أي الجائرون ـ أصحاب صفّين.

(٣) القصص / ٨٣.

(٤) قيل: أراد بالحاضر هنا من حضر لبيعته.

(٥) أي يوافقوا مقرّين.

(٦) هي ما يعتري الأكل من الثقل، والكرب عند امتلاء البطن بالطعام، وأراد استئثار الظالم بالحقوق.

(٧) أي شدّة الجوع، والمراد: غصب حقوقه.

مَظْلُومٍ، لَأَلْـقَيْتُ حَـبْلَهَا عَـلَى غَـارِبِهَا[١]، وَلَسَـقَيْتُ آخِـرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِها، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هـٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ!

المبايعة بالخلافة

نعم، لقد انهال الناس عليه من كل جانب، وهم ينادون: ما نختار غيرك. وتردّدوا إليه مراراً، وقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

فقال عليه السلام: «إذا كان لا بدّ من ذلك ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلّا في المسجد».

فخرج من بيته إلى المسجد، عليه قميص وعمامة خز، ونعلاه في يده، متوكّئاً على قوسه، فصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة ثمّ قال: «اعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قول القائل، وعَتَبِ العَاتِبْ...»[٢].

وسارعت الأُمّة مذعنة لشروطه، ومدّت إليه يد البيعة على

---

(١) الغارب: الكاهل.

(٢) نهج البلاغة: نصّ رقم ٩٢.

الطاعة ، ولبّى هو مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادية في الأُمّة الإسلامية على الصعيد الفكري والعملي .

وقد كانت أوّل مهامه عليه السلام أن يزيل صور الانحراف المختلفة التي طرأت على الحياة الإسلامية ، وأن يعود بالأُمّة الى أصالة المنهج الإلهي .

وأوّل يدٍ بايعه من الناس طلحة ثمّ الزبير وذلك طمعاً منهما أن ينالا الحضوة لديه عليه السلام ويحصلا على المناصب العليا ، ويكسبا الأموال الطائلة ، كما حصلا على ذلك من عثمان ابّان حكمه .

ثمّ بايعه المهاجرون والأنصار وسائر المسلمين ، حتى أنّ بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام تشائموا من تلك الصفقة التي هي أوّل يدٍ امتدّت لتبايعه؛ لأنّها كانت يد مشلولة عضباء ، هي يد طلحة المشؤومة .

ولمّا أراد طلحة والزبير أن يبايعا قال لهما أمير المؤمنين عليه السلام : «إن أحببتما أن تبايعاني ، وإن أحببتما بايعتكما ؟» فقال : بل نبايعك .

وجاؤوا بسعد بن أبي وقّاص ، فقال له عليّ عليه السلام : «بايع» . قال : لا ، حتى يبايع الناس ، والله ما عليك منّي بأس . فقال

الإمام: «خلّوا سبيله».

وجاؤوا بعبدالله بن عمر فقالوا: بايع. فقال: لا، حتى يبايع الناس، فقال عليه السلام: «ائتني بكفيل». قال: لا أرى كفيلاً. فقال الأشتر: دعني أضرب عنقه. فقال الإمام: «دعوه، أنا كفيله».

وكان الازدحام على الإمام بصورة مدهشة، وكاد الناس أن يركب بعضهم البعض من شدّة الزحام، فبويع له بالخلافة يوم الجمعة لثمانية عشر من ذي الحجّة سنة ٣٥ من الهجرة في بعض الروايات. ومن ذلك اليوم نهض عليّ عليه السلام بأعباء الخلافة.

تقسيم بيت مال المسلمين بالسويّة

وأوّل خطوة تقدّم بها الإمام عليه السلام إلى العدالة هو تقسيم بيت المال بين المسلمين بالسوية، وذلك في اليوم الثاني من بيعته، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وكان ممّا قال:

«أمّا بعد، لمّا قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلف النّاس أبا بكر، ثمّ استخلف أبو بكر عمر، فعمل بطريقته، ثمّ جعلها شورى بين ستّة، فأفضى الأمر إلى عثمان، فعمل ما أنكرتم وعرفتم، ثمّ حُصِرَ، ثمّ قُتِل، ثمّ جئتموني فطلبتم إليَّ، وإنّما أنا

رجل منكم ، لي ما لكم ، وعليَّ ما عليكم . . . » إلى آخر خطبته المعروفة .

ثمّ التفت يميناً وشمالاً فقال : « ألا لا يقولن رجل منكم قد غمرتهم الدنيا فاتّخذوا العقار ، وفجّروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتّخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إذ منعتهم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون ، فينقمون ذلك ويستنكرون ، يقولون : حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا .

وأيّما رجل استجاب لله ورسوله ، فصدّق ملّتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله والمال مال الله ، يقسّم بينكم بالسوية ، لا فضل لأحدٍ على أحد وللمتّقين غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب .

وإذا كان غداً ـ إن شاء الله ـ فاغدوا علينا ، فإنّ عندنا مالاً نقسّمه فيكم ، ولا يتخلّفن أحد منكم ، عربيّ ولا عجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن ، إذا كان مسلماً حرّاً إلّا حضر ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم » .

وعن عمّار وابن عبّاس قالا: إنّه عليه‌السلام لمّا صعد المنبر قال لنا: «قوموا فتخلّلوا الصفوف، ونادوا: هل من كاره؟».

فتصارخ الناس من كلّ جانب: اللّهمّ قد رضينا وسلّمنا وأطعنا رسولك وابن عمّه.

فقال عليه‌السلام: قم يا عمّار إلى بيت المال فاعط الناس، ثلاثة دنانير لكلّ إنسان، وادفع لي ثلاث دنانير، فمضى عمّار وأبو الهيثم وجماعة من المسلمين إلى بيت المال. ومضى أمير المؤمنين إلى مسجد قباء يصلّي فيه، فوجدوا ثلاثمائة ألف دينار، ووجدوا الناس مائة ألف، فقال عمّار: جاء والله الحقّ من ربّكم، والله ما علم بالمال ولا بالناس، وإنّ هذه الآية وجبت عليكم بها طاعة الرجل.

فأخذ الناس ذلك القسم: حتى بلغوا طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وبني أُميّة فامسكوا أيديهم وامتنعوا عن القبول، وقالوا: هذا منكم، أو من صاحبكم؟

فقالوا: هذا أمره، لا يعمل إلّا بأمره.

قالوا: استأذنوا لنا عليه. قالوا: ما عليه إذن.

وبعد الأخذ والردّ فقال عليه‌السلام: «وهذا كتاب الله فانظروا ما

لكم من حقّ فخذوه».

قالوا: فسابِقتنا، قال: «أنتما أسبق منّي؟».

قالوا: لا، فجهادنا، قال: «أعظم من جهادي؟».

قالوا: لا، قال: «فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلّا منزلةً سواء».

وأوّل شيء كرهه بعض الناس من علي أمير المؤمنين بعد خلافته تقسيمه العطاء بالسوية، فقد قال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين! هذا غلامي بالأمس، وقد أعتقته اليوم! فقال عليه السلام: «نعطيه كما نعطيك»!!

وأمر الإمام أن يبدأوا في العطاءِ بالمهاجرين، ثمّ يثنّون بالأنصار، ثمّ مَن حضر من الناس كلّهم، الأحمر والأسود.

تخلّف عن هذه القسمة يومئذٍ طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش، ومن هنا بدأت التفرقة، ونشب الخلاف، وتولّدت الفتنة.

وأقبل هؤلاء وجلسوا في ناحية من المسجد، ولم يجلسوا عند الإمام عليه السلام، ثمّ قام الوليد بن عقبة فجاء إلى الإمام، فقال: يا أبا الحسن، إنّك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلتَ أبي يوم بدر

صبراً ، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس .

وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب ، وكان ثور قريش.

وأمّا مروان فَسخّفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه ، ونحن إخوانك ونظراؤك من بني عبدمناف ، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال في يوم عثمان ، وأن تقتل قتلة عثمان ، وإنّا إن خفناك تركناك والتحقنا بالشام .

فقال عليه السلام : «أمّا ما ذكرتم من وتري إيّاكم فالحقّ وتركم؛ وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم ، فليس لي أن أضع حقّ الله عنكم ولا عن غيركم؛ وأمّا قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس . ولكن لكم عليَّ إن خفتموني أن أُؤمنكم ، وإن خفتكم أن أسيّركم» .

فقام الوليد إلى أصحابه فحدَّثهم ، فافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف ، فلمّا أنتهى عمّار وعبدالله بن رافع وغيرهما من تقسيم المال بين الناس بالسوية أخذ عليّ عليه السلام مكتله ومسحاته ، ثمّ انطلق إلى بئر الملك فعمل فيها ، فأخذ الناس ذلك القسم ، حتّى بلغوا الزبير وطلحة وعبدالله بن عمر فأمسكوا أيديهم ، وامتنعوا عن القبول وقالوا : هذا منكم ، أو من

صاحبكم ؟ فقالوا: هذا أمره ، لا نعمل إلّا بأمره .

قالوا: استأذنوا لنا عليه .

قالوا: ما عليه آذن ، هو في بئر الملك يعمل .

ركبوا دوابهم حتّى جاؤوا إليه ، فوجدوه في الشمس ومعه أجير له ، فقالوا: إنّ الشمس حارّة ، فارتفع معنا إلى الظلّ .

فارتفع معهم إلى الظلّ ، فقالوا له: لنا قرابة من نبيّ الله ، وسابقة جهاد ، وإنّك أعطيتنا بالسوية ، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطوننا بالسوية ، كانوا يفضّلوننا على غيرنا .

فقال عليه‌السلام : « فهذا قسم أبي بكر ، وإلّا تدعوا أبا بكر وغيره ، وهذا كتاب الله فانظروا ما لكم من حقّ فخذوه » .

قالوا: فسابقتنا .

قال: «أنتما أسبق منّي ؟» .

قالوا: لا ، فقرابتنا من النبيّ .

قال: أقرب من قرابتي ؟

قالوا: لا ، فجهادنا .

قال: أعظم من جهادي ؟

قالوا: لا .

قال : « فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلّا منزلة سواء » .

احتجاج طلحة والزبير

وفي اليوم الثاني جاء طلحة والزبير ، وجلسا في ناحية المسجد ، وجاء مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبدالله بن الزبير ، وجلسوا عندهما ، وكان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال وجعلوا يطعنون في علي أمير المؤمنين عليه‌السلام ، والتفت عمّار بن ياسر إلى أصحابه وهم جلوس عنده في ناحية أُخرى من المسجد ، فقال : هلموا إلى هؤلاء النفر من اخوانكم ، فإنّه قد بلغنا عنهم ، ورأينا ما نكره من الخلاف والطعن لإمامهم ، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق . يعني طلحة .

فقام عمّار ومن معه حتى جلسوا عندهم فتكلّم أبوالهيثم وقال : إن لكم قدماً في الإسلام ، وسابقة ، وقرابة من أمير المؤمنين ، وقد بلغنا عنكم طعن وسخط لأمير المؤمنين ، فإن يكن أمر لكما خاصّة ، فعاتبا ابن عمّتكما وإمامكما ، وإن تكن النصيحة للمسلمين ، فلا تؤخّراه عنه ، ونحن عون لكما ، فقد

علمنا أنّ بني أُميّة لن تنصحكما أبداً ، وقد عرفتما عداوتهم لكما ، وقد شركتما في دم عثمان ، وملأتما .

فسكت الزبير ، وصاح طلحة ـ بصوتٍ عالٍ ـ: افزعوا جميعاً ممّا تقولون ، فإنّي قد عرفت أنّ في كلّ واحد منكم خطبه .

فتدخّل عمّار وأبدى النصيحة ، وتقدّم ابن الزبير وتكلّم بكلام خشن ، فأمر عمّار باخراج ابن الزبير من المسجد ، فقام الزبير منزعجاً من هذا العمل ، وخرج من المسجد .

فقال عمّار : ولو لم يبق أحد إلّا خالف عليّ بن أبي طالب لما خالفته ، ولا زالت يدي مع يده ، وذلك أنّ عليّاً لم يزل مع الحقّ منذ بعث الله نبيّه محمّد ﷺ ، فإنّي أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضّل عليه أحداً .

فقام عمّار وجماعته وجاؤوا إلى أمير المؤمنين ، وأخبروه بانشقاق القوم وأنّهم كرهوا الأُسوة والقسمة بالسوية ، إلى آخر كلامهم .

فخرج الإمام من داره ودخل المسجد وصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء على الله : « يا معشر المهاجرين والأنصار ! أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم ؟ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان

إن كنتم صادقين؛ أنا أبو الحسن ـ وكان يقولها إذا غضب ـ ألا إنّ هذه الدنيا التي تتمنّونها ، وترغبون فيها ، وأصبحت تـغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا مـنزلكم الذي خـلقتم له ، فـلا تغرّنّكم . وأمّا هذا الفيء (المال) فليس لِأحدٍ أثرة ، فقد فرغ الله من قسمته ، وهو مال الله ، وأنتم عـباد الله المسـلمون ، وهـذا كتاب الله ، به أقررنا وله أسلمنا ، وعهد نبيّنا بين أظهرنا ، فمَن لم يرض فليتولّ كيف شاء ، فإنّ العامل بطاعة الله الحاكم بحكم الله لا وحشة عليه » .

ثمّ نزل الإمام عن المنبر وصلّى ركعتين ، ثمّ بعث بعمّار بـن ياسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسـجد ، فـدعاهما ، فجاء طلحة والزبير وجلسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال الإمام: « نشدتكما الله ، هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها ؟ » .

فقال الرجلان : نعم .

فقال الإمام : « غير مجبورين ولا مـعسورين ، فـأسلمتما لي بيعتكما ، وأعطيتماني عهدكما ؟ » .

فقال الرجلان : نعم .

فقال الإمام: «فما دعاكما إلى ما أرى ؟»

فقال الرجلان: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأُمور، ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كلّ أمر، ولا تستبدّ بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم وتقطع الأُمور وتقضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال الإمام ـ غاضباً ـ: «لقد نقمتما يسيراً، وأرجأتما كثيراً، فاستغفرا الله يغفر لكما، ألا تخبراني، أدفعتكما عن حقّ واجب لكما فظلمتكما إيّاه ؟».

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: «فهل استأثرتُ من هذا المال بشيء ؟».

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: «أفوقع حكم أو حَدٌّ من المسلمين فجهلته أو ضعفت فيه ؟».

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: «فما الذي كرهتما من أمري حتّى رأيتما خلافي؟».

فقال الرجلان: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم، إنّك جعلتَ حقّنا في القسم كحقّ غيرنا، وسوّيت بيننا وبين مَن

لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا ، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا ، وظهرت عليه دعوتنا ، وأخذنا قسراً وقهراً ممّن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً .

فقال الإمام عليه السلام : « أمّا ما ذكرتماه من الاستشارة بكما ، فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ، ولكنّكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها ، فخفت أن أردّكم فتختلف الأمّة ، فلمّا أفضت إليَّ نظرتُ في كتاب الله وسنّة رسوله فأمضيت ما دلّاني عليه واتّبعته ، ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما ، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه واحتيج إلى المشاورة لشاورتكما فيه .

وأمّا القسم والأسوة : فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادىء بدءٍ ، وقد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يحكم بذلك ، وكتاب الله ناطق به ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وأمّا قولكما : « جعلتَ فيئنا وأسيافنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا » فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ، ونصره بسيوفهم ورماحهم ، فلا فضّلهم رسول الله بالقسم ، ولا أثر بالسبق ، والله

سبحانه موفٍ السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم ، وليس لكما ، والله ، عندي ولا لغيركما إلّا هذا .

أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر ، رحم الله امرىءٍ رأى حقّاً فأعان عليه ، ورأى جوراً فردّه ، وكان عوناً للحقّ على مَن خالفه » .

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين عليه السلام وهما مغضبان ساخطان ، وقد عرفا ما كان غلب في ظنّهما من رأيه ، وبعد يومين جاءا واستأذنا عليه فأذِن لهما .

فقالا : يا أمير المؤمنين ! قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدّة ، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً ، نصلح به أحوالنا ، ونقضي به حقوقاً علينا .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « قد عرفتما مالي بـ« ينبع » فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسّر » .

فقالا : لا حاجة لنا في مالك بـ« ينبع » .

فقال أمير المؤمنين : « ما أصنع ؟ » .

فقالا : أعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية .

فقال أمير المؤمنين : « سبحان الله ، وأي يدٍ لي في بيت مال

المسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم ؟! فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما ، فإن أذنوا فيه فعلت ، وأنّى لي بـذلك وهو لكافّة المسلمين شاهدهم وغائبهم ؟! ولكنّي أبـدي لكـما عذراً» .

فقالا : ما كنّا بالذي نكلّف ذلك ، ولو كلّفناك لمـا أجـابك المسلمون .

فقال أمير المؤمنين : «فما أصنع ؟» .

فقالا : سمعنا ما عندك .

خروج طلحة والزبير ضدّ الإمام

ثمّ خرجا من دار أمير المؤمنين ، وقد يئسا من بيت المال ، فجعلا يفكّران في كيفية الخروج إلى مكّة والالتحاق بـعائشة ، إلى أن صار رأيهما على هذا ، وجاءا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقت خلوته وقالا : قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة؛ لأنّا بعيدا العهد بها ، فأذن لنا فيها .

فنظر الإمام في وجهيهما ، وقرأ الغدر مـن فـلتات لسـانهما ودوران عيونهما ، وقد احمرّ وجهه وبان الغضب فيه فقال :

« والله ما تريدان العمرة ، ولكنّكما تريدان الغـدرة ، وإنّمـا تريدان البصرة » .

فقال الرجلان : اللّهمّ غفراً ، ما نريد إلّا العمرة .

فقال الإمام : « احلفا لي بالله العظيم أنّكما لا تفسدان عليَّ أمر المسلمين ، ولا تنكثان لي بيعة ولا تسعيان في فتنة » .

فحلفا بالأيمان المؤكّدة فيما استحلفهما عليه من ذلك .

فخرج الرجلان من عنده ، فلقيهما ابن عبّاس سـائلاً : أذن لكما الإمام ؟ فقالا : نعم .

ودخل ابن عبّاس على الإمام فـابتدأه الإمـام عليه السلام قـائلاً : « يابن عبّاس ، أعندك الخبر ؟ إنّهما استأذنا في العمرة ، فأذنت لهما بعد أو أوثقت منهما بالأيمان أن لا يغدرا ، ولا ينكثا لي بيعة ، ولا يُحدثا فساداً ، ولا يسعيان في فتنة ، فحلفا بالأيمان » .

وبعد هنيئة قال : « والله يابن عبّاس ، إنّي لأعلم أنّهـما مـا قصدا إلّا الفتنة ، فكأنّي بهما وقـد صـارا إلى مكّـة ليسـعيا إلى حربي ، وإنّ يعلى بن مُنية الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفقها في ذلك ، وسيفسد هذان الرجلان عليَّ أمري ، ويسفكا دماء شيعتي وأنصاري » .

فقال ابن عبّاس : إذا كان عندك يا أمير المؤمنين معلوماً ، فَلِمَ أذنت لهما ؟ هلا حبستهما ، وأوثقتهما بالحديد وكفيت المؤمنين شرّهما ؟

فقال الإمام متعجّباً : « يابن عبّاس ، أتأمرني بالظلم ابتداءً ؟ وبالسيئة قبل الحسنة ؟ وأُعاقب على الظنّة والتهمة ؟ وآخذ بالفعل قبل كونه ؟ كلّا والله ، لا عدلت عمّا أخذ الله عليَّ من الحكم والعدل .

يابن عبّاس ! انّني أذنت لهما وأعرف ما يكون منهما ، ولكنّي استظهرت بالله عليهما ، والله لأقتلنّهما ولأُخيبنّ ظنّهما ، ولا يلقيان من الأمر مُناهما ، وإنّ الله يأخذهما بظلمهما لي؛ ونكثهما بيعتي ، وبغيهما عليَّ » .

ثمّ خرج الرجلان من المدينة متوجّهين إلى مكّة ، فوجدا بني أُميّة قد أحاطوا بعائشة ، ولحق بها جماعة من منافقي قريش ، ولحق بها عبدالله بن عمر بن الخطّاب وأخوه عبيدالله ، ومروان بن الحكم ، وأولاد عثمان ، وعبيدة وخاصّته من بني أُميّة ، وجعلوا عائشة ملجأً لهم فيما دبّروه من كيد للإمام عليه السلام ، وصار كلّ من يبغض عليّاً ، أو يكرهه ، أو يحسده ، أو يخاف منه

استيفاء الحقوق منه ، يلتحق بهذه الجماعة .

وعائشة تنعى عثمان وتبرأ من قاتله ، وتحرّض الناس على عداوة الإمام ، وتُظهر بأنّ عليّاً قتل عثمان ظلماً .

المتخلّفون عن بيعته

في مروج الذهب : قعد عن بيعته ـ أي الإمام ـ جماعة عثمانية ـ الهوى ـ وجماعة لم يروا إلى الخروج من الأمر .

وفي أُسد الغابة : تخلّف عن بيعته جماعة من الصحابة ، فلم يُلزِمهم ـ الإمام ـ بالبيعة ، وسئل عليّ عليه السلام عمّن تخلّف عن بيعته ، فقال : « أُولئك قعدوا عن الحقّ ولم ينصروا الباطل » .

روى الطبري بسنده عن عبدالله بن الحسن ، قال : بايعت الأنصار عليّاً إلّا نفراً منهم وعدّهم وقال : كانوا عثمانية ـ الرأي والهوى ـ ونحن نذكر أسماء المتخلّفين ، حسب ما ذكره هَـؤلاء وهم :

حسّان بن ثابت[1] ، وكعب بن مالك (وكانا شاعرين) ،

---

(١) على رغم إلقاء قصيدته العصماء يوم غدير خمّ أمام »

ومسلمة بن مخلَّد (أو خالد)، وأبو سعيد الخدري، ومحمّد بن مسلمة، وحليف بن الأشهل، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وسعد بن أبي وقّاص، وعبدالله بن عمر، وصهيب بن سنان، وسلمة بن وقش، وأُسامة بن زيد، وعبدالله بن سلام، وقدامة ابن مظعون، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وهبان بن صيفي، وعبدالله بن الحسن فيما رواه عنه الطبري في العشرة الأُولى أنّهم كانوا عثماني الهوى، غير الذين هربوا إلى مكّة من بني أُميّة ومن شايعهم بعد مقتل عثمان، أو الذين التحقوا بمعاوية في الشام.

وقال: أمّا حسّان فكان شاعراً لا يُبالي ما صنع.

وأمّا زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان وبيت المال، فلمّا حُصِرَ عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرّتين. فقال أبو أيّوب: ما تنصره إلّا لأنّه أكثر لك من العبدان.

« رسول الله (ص) عندما أعلن الولاية لعليّ (ع) بقوله:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم
ألا فأسمع بالنبيّ منادياً

وأمّا كعب بن مالك فاستعمله عثمان على صدقة مَزِينَة وترك ما أخذ منهم له .

وقال المسعودي: وبايع ابن عمر يزيد بعد ذلك ، والحجّاج لعبدالملك بن مروان .

وقال ابن الأثير: فأمّا النعمان بن بشير ، فإنّه أخذ أصابع نائلة بنت القرافصة امرأة عثمان التي قُطعت وقميص عثمان الذي قُتِلَ فيه وهرب فلحق بالشام ، فكان معاوية يعلّق قميص عثمان وفيه الأصابع فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيضاً وجَدُّوا في أمرهم ، ثمّ يرفعه إذا أحسَّ منهم بفتور ، يقول له عمرو بن العاص حرِّك لها جِوارَها تحن ، فيعلّقها وصار بذلك مثلاً « قميص عثمان » .

وهرب بنو أُميّة فلحقوا بمكّة . وخرج طلحة والزبير من المدينة متوجّهين إلى مكّة بعد أن استجازوا الإمام للعمرة ، فوجدا بني أُميّة قد أحاطوا بعائشة ولحق بهم جماعة من منافقي قريش ، ولحق بهم عبدالله بن عمر واخوه عبيدالله ، ومروان بن الحكم ، وأولاد عثمان ، وعَبيدهُ وخاصّته من بني أُميّة ، وكلّ من يبغض عليّاً أو يكرهه ، أو يحسده وجعلوا عائشة ملجأً لهم فيما

يدبّروه من كيد للإمام عليه السلام .

وهكذا جهّزوا جيشاً بقيادة صاحبة الجمل ، وطلحة والزبير ، وزحفوا إلى البصرة .

وصول عائشة إلى مكّة

وكانت عائشة لمّا وصلت إلى مكّة ، وأدّت مناسك الحجّ ، بلغها خبر قتل عثمان فاستبشرت وقالت للناعي : قتلته أعماله ، إنّه أحرق كتاب الله ، وأمات سنّة رسول الله فقتله ، ومَن بايع الناس ؟

فقال الناعي : لم أبرح من المدينة حتّى أخذ طلحة نعاجاً لعثمان ، وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال ، ولا شكّ أنّ الناس بايعوه .

فقالت عائشة وهي فرحة : بُعداً لنعثل وسحقاً ! إيه ذا الأصبع ! إيه أبا شبل ! إيه ابن عمّ ! للهِ أبوك يا طلحة ، أما إنّهم وجدوا طلحة لها كفواً ، لكأنّي أنظر إلى اصبعه وهو يبايع احتووها بلا بل دغدغوها ! وجدوك لها محسناً ، ولها كافياً ، شدّوا رحلي فقد قضيت عمرتي ، لأتوجّه إلى منزلي .

فسارت عائشة حتى إذا وصلت إلى موضع يقال له (شرقاء) لقيها رجل يقال له : عبيد بن أمّ كلاب ، فسألته عائشة : ما الخبر ؟ فقال الرجل : قُتِل عثمان .

فقالت عائشة : قتل نعثل ! أخبرني عن قصّته وكيف كان أمره ؟

فقال الرجل : لمّا أحاط الناس بالدار ، رأيتُ طلحة قد غلب على الأمر ، واتّخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن ، وتهيّأ ليبايع له ، فلمّا قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب ، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره ، وخرجوا في طلب عليٍّ ، يقدمهم الأشتر ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر ، حتّى إذا أتوا عليّاً وهو في بيت سكن فيه قالوا له : بايعنا على الطاعة لك . وكان عليّ يتفكّر ساعة ، فقال الأشتر : يا عليّ ! إنّ الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن يختلف الناس . وكان في الجماعة طلحة والزبير ، فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعليّ بن أبي طالب كلام قبل ذلك ، فقام طلحة والزبير فبايعا ، وأنا أرى أيديهما على يد عليٍّ يصفقانها ببيعتهِ ، ثمّ صعد عليّ بن أبي طالب المنبر ، فتكلّم بكلام لا أحفظه إلّا أنّ الناس بايعوه يومئذٍ

على المنبر من الغد ، فلمّا كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم .

فقالت عائشة : لوددت أنّ السماء انطبقت على الأرض إن تمّ هذا ، أُنظر ماذا تقول ؟!

فقال الرجل : هو ما قلت لكِ يا أُمّ المؤمنين .

فقالت عائشة : إنّا لله ، أكره والله هذا الرجل ، وغصب عليّ بن أبي طالب أمرهم ، وقتل خليفة الله مظلوماً ، ردّوا بغالي ، ردّوا بغالي .

فقال الرجل : ما شأنكِ يا أُمّ المؤمنين ؟ والله ، ما أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها من عليّ ، ولا أحقّ ، ولا أرى له نظيراً فلماذا تكرهينه ؟ فسكتت عائشة ولم ترد جواباً ، وعزمت على الرجوع إلى مكّة .

وفي طريقها رآها قيس بن حازم فقالت عائشة تخاطب نفسها : قتلوا ابن عفّان مظلوماً .

فقال قيس : يا أُمّ المؤمنين ! ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعده الله؛ وقد رأيتك قبل أشدّ الناس عليه ، وأقبحهم فيه قولاً ؟!

فقالت عائشة : لقد كان ذلك ، ولكن نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتّى إذا تركوه كالفضّة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر

حرام فقتلوه .

فقال عبيد بن أمّ كلاب :

فمنك البداءُ ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا : إنّه قد كفر
فهبنا أطعناك في قتله وقاتله عندنا مَن أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تُدْرَإٍ يزيل الشبا ويقيم الصعر
ويلبس للحرب أوزارها وما من وفي مثل من قد غدر

عائشة تطالب بدم عثمان

وصلت عائشة إلى مكّة ، وجاءها رجل يقال له : يعلى بن منية ، وكان من بني أُميّة وشيعة عثمان ، وقال لها : قد قُتِل خليفتك الذي كنت تحرّضين على قتله .

فقالت عائشة : برئت إلى الله ممّن قتله .

فقال الرجل : الآن أظهري البراءة ثانياً مِن قاتله .

فخرجت إلى المسجد ، فجعلت تتبرّأ ممّن قتل عثمان ، وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة ، فكتبا إليها

كتباً مع ابن أُختها عبدالله بن الزبير ، وكان مضمون الكتاب « خَذِّلي الناس عن بيعة عليّ ، وأظهري الطلب بدم عثمان » .

قرأت عائشة ذلك الكتاب ، وكشفت عمّا في ضميرها ، وجعلت تطلب بدم عثمان ، وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت : أيّها الناس ! إنّ الغوغاء « السفلة » من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة ، اجتمعوا على هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس ، ونقموا عليه استعمال الأحداث ، وقد استعمل أمثالهم من قبله ، ومواضع الحمى حماها لهم ، فتابعهم ونزل عنها ، فلمّا لم يجدوا حجّةً ولا عذراً بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام .

والله ، لإصبع من عثمان خيرٌ من طباق الأرض أمثالهم .

والله ، لو أنّ الذي اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، والثوب من درنه ، إذ ماصّوه كما يماص الثوب بالماء .

فتقدّم عبدالله بن عامر الحضرمي ـ وكان عامل عثمان على مكّة ـ وقال : أنا أوّل طالب بدمه . فكان أوّل مجيب ، فتبعه

بنو أُميّة ، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان إلى مكّة فرفعوا رؤوسهم ، فكان أوّل ما تكلّموا في الحجار .

ولمّا وصل طلحة والزبير إلى مكّة أرسلا عبدالله بن الزبير إلى عائشة يطلبان منها الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان .

امتنعت عائشة من الاجابة في بادىء الأمر وفكّرت أن تذهب إلى أُمّ سلمة ، وكانت في مكّة ، بعنوان استشارتها ، ولكنّها محاولة منها في إقناعها بالخروج معها والاشتراك معها في محاربة الإمام ، كما أقنعت حفصة بالخروج معها غير أنّ أخاها عبدالله بن عمر منعها ، ولكنّها ذهبت إلى أُمّ سلمة تستشيرها في الخروج ، ولمّا دخلت على أُمّ سلمة نعت إليها عثمان وأنّه قُتل مظلوماً .

ثمّ إن عائشة ذكرت لِأُمّ سلمة عزمها على الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان ، وطلبت منها أن ترافقها وتشاركها في تلك النهضة .

فجعلت أُمُّ سلمة تعاتب عائشة على تحريض الناس بقتل عثمان ثمّ الطلب بدمه ، مع العلم أنّ عثمان من بني عبدمناف ، وعائشة امرأة من تيم بن مرّة ، وليس بينهما قرابة .

ثمّ ذكرت أُمُّ سلمة شيئاً من فضائل عليّ عليه السلام وأنّه لا ينبغي لِأَحَدٍ أن يحارب عليّاً ووعظتها، وذكّرتها بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل عليّ عليه السلام . وذكّرتها بحديث النبيّ يوم قال:

«أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب»(١) ؟

فتذكّرت عائشة كلّ ذلك وقنعت بكلام أُمّ سلمة، غير أنّ التأثير كان مؤقّتاً، ثمّ عزمت على السفر إلى البصرة.

أمّا يعلى بن منية فقد اشترى أربعمائة بعير ونادى: أيّها الناس! مَن خرج للطلب بدم عثمان فعليَّ جهازه.

ووصل الخبر إلى أُمّ سلمة فقالت لعائشة: لقد وعظتكِ فلم تتّعظي .. ثمّ حذّرتها من تلك الفكرة، وذكرت لها بأنّها تهتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنّها زوجته وعرضه .. إلى آخر الكلام.

خروج عائشة إلى البصرة

خرجت عائشة بالجيش نحو البصرة، وفي أثناء الطريق وصلوا

---

(١) الحوأب: منطقة في الطريق، فيها بساتين ونهر يسمّى بالحوأب، وهو على مسير يومين أو ثلاثة عن البصرة.

إلى ماءِ الحوأب فنبحت الكلاب ، وقال قائل : ما أكثر كلاب الحوأب ، وما أشدّ نباحها !

فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، إنّي لهي ؟ ؟ سمعت رسول الله ﷺ ـ وعنده نساؤه ـ يقول : « ليت شعري ، أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبب ، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة ، تنجو بعد ما كادت تقتل ؟ ؟ . . . ردّوني ، ردّوني .

فأقبل جماعة وشهدوا وحلفوا أنّ هذا ليس بماء الحوأب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة . وهي أوّل شهادة زور في الإسلام .

وصل الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأمر المنادي فنادى : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس في المسجد (مسجد رسول الله) في المدينة وصعد الإمام عليه السلام المنبر ، وخطب فيهم خطبة بليغة ذكر فيها الخلافة وأطوارها وأدوارها ، . . . إلى أن قال :

« وبايعني هذان الرجلان ـ طلحة والزبير ـ في أوّل مَن بايع ، وتعلمون ذلك ، وقد نكثا غدراً ، ونهضا إلى البصرة بعائشة ليفرّقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم .

اللّهمّ فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تنعش لهما ضرعة ، ولا تقلّهما عثرة ، ولا تمهلهما فواقاً ، فإنّهما يطلبان حقّاً تركاه ودماً سفكاه .

اللّهمّ إنّي أقتضيك وعدك ، فإنّك قلت ـ وقولك الحقّ ـ: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ .

اللّهمّ انجز لي موعدي ، ولا تكلني إلى نفسي ، إنّك على كلّ شيء قدير » .

ثمّ استشار الإمام أصحابه ، فقال عمّار بن ياسر : الرأي عندي أن تسير إلى الكوفة ، فإنّ أهلها شيعة ، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة .

وأشار عليه ابن عبّاس أن يأمر أُمّ سلمة لتخرج معه تقوية لجانبه ، فقال الإمام : أمّا أُمّ سلمة فإنّي لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج عائشة .

وأشار عليه جماعة أن يعتزل الفتنة ويذهب إلى ماله بـ(ينبع) فلم يقبل منهم ، وأخيراً نادى الإمام : « تجهّزوا للمسير ، فإنّ طلحة والزبير نكثا البيعة ونقضا العهد ، وأخرجا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة ، وسفك دماء أهل القبلة » .

ورفع يديه للدعاء قائلاً: «اللّهمّ إنّ هذين الرجلين قد بغيا عليَّ، ونكثا عهدي، ونقضا عقدي، وشتماني بغير حقّ سومهما ذلك، اللّهمّ فخذهما بظلمهما واظفرني بهما، وانصرني عليهما».

خروج الإمام إلى البصرة

وجعل الإمام عليه السلام تمام بن العبّاس والياً على المدينة، وخرج بمن معه إلى الرَبذة، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها، فأرسل الإمام محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن الحنفية إلى الكوفة ليستنفرا أهل الكوفة.

وكان والي الكوفة ـ يومذاك ـ أبا موسى الأشعري، وكان عثمان الهوى، منحرفاً عن الإمام عليه السلام، وقد كتبت عائشة إليه كتاباً تأمره أن يخذِّل الناس عن نصرة الإمام، وقام بتلبية طلبها، فخطب فيهم وأمرهم أن يجتنبوا الفتنة ويبتعدوا عن سفك دماء المسلمين، فلم يستطيع محمّد بن الحنفية ومحمّد بن أبي بكر مقاومة الأشعري، فرجعا إلى الإمام.

وكان الإمام قد كتب ـ قبل ذلك ـ كتاباً إلى الأشعري يأمره أن يخرج بالناس لمؤآزرة الإمام، ولكن الأشعري استمرّ على

رأيه والتنحص البيعة ، وأظهر العداء الكامن في صدره .

فأخبروا الإمام بذلك ، فكتب الإمام كتاباً إلى الأشعري فيه خبر عزله من الحكم والتهديد إن لم يعتزل ، وكتباً أُخرى إلى أهل الكوفة يذكر لهم فيه عمّا جرى على عثمان . ثمّ يذكر بيعة الناس له ، ومن جملتهم طلحة والزبير ، ثمّ نكثهما البيعة وخروجهما ضدّه .

وقبل وصول هذين الكتابين كان الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر وزيد بن صوحان وقيس بن سعد جاؤوا إلى الكوفة وخطبوا في الناس الخطب المفصّلة المطوّلة ، يحثّون الناس على نصرة الإمام ، فكان الأشعري يقوم ويخطب وينقض كلامهم ، ويخذّل الناس ، ويأمرهم باعتزال الفتنة ، وعدم الخوض في المعركة .

وانقضت أيّام وأيّام والأمر هكذا في الكوفة ، والإمام ينتظر المدد وهو في أرض يقال لها « ذيقار » واليوم تسمّى « المقيّرة » وهي قريبة من الناصرية في طريق البصرة .

وأخيراً خرج البطل الضرغام مالك الأشتر وأقبل إلى الكوفة ودخلها وهجم على دار الإمارة ، واستولى عليها ، وأخرج

غلمان الأشعري منها ، وكانت الحرب الباردة قائمة في المسجد بين الأشعري وبين أصحاب الإمام ، وإذا بغلمان الأشعري دخلوا المسجد ، وهم ينادون : يا أبا موسى ، هذا الأشتر .

ودخل أصحاب الأشتر وصاحوا : اخرج من المسجد ، يا ويلك ، أخرج الله روحك ، إنّك والله من المنافقين .

خرج أبو موسى معزولاً خائباً مخذولاً ، وأراد الناس أن ينهبوا أمواله فمنعهم الأشتر .

وأقبل الأشتر فصعد المنبر وقال : . . . وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً ، وأعظمهم في الإسلام سهماً ، وابن عمّ رسول الله ﷺ وأفقه الناس في الدين ، وأقرأهم لكتاب الله ، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس ، وقد استنفركم ، فما تنتظرون ؟ أسعيداً ؟ أم الوليد الذي شرب الخمر وصلّى بكم على سكرٍ واستباح ما حرّمه الله فيكم ؟ أيُّ هذين الرجلين تريدون ؟ قبّح الله من له هذا الرأي ، فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيّكم ، ولا يختلف رجل له قوّة ، فوالله ما يدري رجل منكم ما يضرّه وما ينفعه ، وإنّي لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون أو تبصرون ، اصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدّين ، وهذا

وجهي إلى ما هناك بالوفاء .

ثمّ قام ابن عبّاس وعزل الأشعري عن الولاية وخلعه عنها ، وجعل مكانه قرضة بن كعب ، فلم يبرحوا من الكوفة حتى سيّروا سبعة آلاف رجل والتحقوا بالإمام في ذي‌قار ، والتحق به قبل ذلك ألفان من قبيلة طي ، وخرج الإمام نحو البصرة .

وكانت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم قد وصلوا إلى البصرة قبل ذلك ، وتعجّب الناس من قدومهم إلى البصرة للطلب بدم عثمان المقتول بالمدينة .

واقعة الجمل الصغرى

وسمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصول القوم ، فأرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي وعمر بن حصين للتحقيق ، فدخلا على عائشة وقالا لها : يا أُمّ المؤمنين ! ما حملك على المسير ؟ ما الذي أقدمك هذا البلد وأنتِ حبيسة رسول الله ، وقد أمرك الله أن تقرّي في بيتكِ ؟

فجرى كلام وجدال طويل بين عائشة والرجلين ، وكلّما خوّفاها من إراقة دماءِ المسلمين وافساد الأمر قابلتهم بكلّ

صلابة وحدّة .

ودخلا على طلحة فلم يسمعا منه إلّا الكلام القبيح والطرد ، ثمّ السبّ لأمير المؤمنين عليه السلام ، استعدّت عائشة للحرب ، وخرجت بِمَن معها إلى محلّة في البصرة يقال لها (المربد) وخطبت في أهل البصرة خطبة ، فنعت عثمان وتأسّفت على قتله ، ثمّ ذكرت عليّاً وبيعته وأفرطت في كلامها ، ثمّ طلبت من أهل البصرة نقض خلافة الإمام .

فصدَّقها ناس وكذّبها آخرون ، واضطرب الناس بأقوالهم ، واشتغلوا بالسبّ والشتم واللعن .

وتوجّهت عائشة إلى دار الإمارة ومن معها وطلبوا من عثمان بن حنيف أن يسلّم إليهم دار الإمارة ، فأبى عليهم ، واشتعلت نار الحرب حتى الظهر ، وقتل في تلك الواقعة خمسمائة شيخ من بني عبدالقيس من شيعةِ عليٍّ وأنصار عثمان بن حنيف ، سوى الجرحى ، واستمرّت الحرب في البصرة وكثر القتلى والجرحى .

وتدخّل بعض الناس وقرّروا الهدنة ، فتمّ القرار على أن تكون دار الإمارة والمسجد وبيوت الأموال تحت اختيار الوالي عثمان بن حنيف ، وتكون البصرة تحت حيازة طلحة والزبير

وعائشة ، وكتبوا على هذه المصالحة كتاباً ، وشهد الناس على ذلك .

ولمّا أمن الناس واطمأنّوا وألقوا سلاحهم أقبل طلحة والزبير وأصحابهم حتّى أتوا دار الإمارة على حين غفلة ، وكان خمسون رجلاً يحرسون بيوت الأموال وهم من شيعة الإمام ، أحاط الزبير بهؤلاء وقتل منهم أربعين رجلاً صبراً ، ثمّ هجموا على عثمان بن حنيف فأوثقوه رباطاً ، وعمدوا إلى لحيّته فنتفوها حتى لم يبق منها شعرة واحدة ، ونتفوا شعر حاجبه وأشفار عينيه ، وأوثقوه بالحديد .

وأصبح الصباح فجاء طلحة والزبير إلى المسجد الأعظم لأداء صلاة الصبح جماعة ، فأراد طلحة أن يتقدّم ويصلّي بالناس ، فدفعه الزبير ، وأراد الزبير أن يصلّي بالناس فمنعه طلحة ، استمرّ النزاع والتدافع بين الإمامين حتّى كادت الشمس أن تطلع !! فصاح الناس : الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها ! فأمرت عائشة أن يصلّي مروان بالناس ، وأخيراً تقدّم عبدالله بن الزبير وصلّى بالناس .

انتشر خبر قتل الحرس وإلقاء القبض على عثمان بن حنيف ،

فأقبل حُكَيم بن جَبَلة إلى عشيرته فحثّهم على النهوض، وجاءَ طلحة والزبير وشبّت نار الحرب مرّة ثانية، وقُتِل حُكَيم بن جَبَلة وأخوه وعدد من الناس، واستولى طلحة والزبير على بيوت الأموال، ونصبا أقفالاً على أبوابها، فأمرت عائشة بختم بيت المال، وختم كلّ من طلحة والزبير بختم على بيوت الأموال.

انقضت أيّام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون في الناس ويهيّجونهم ويحذّرونهم من الإمام عليه السلام وقد كان ينتهي كلامهم إلى ذمّ الإمام وسبّه، وأرسلت عائشة كتباً ورسائل إلى البلاد والأمصار، كتبت فيها ما أرادت.

مذاكرات الإمام مع أصحاب الجمل

وصل أخيراً الإمام بجيشه الجرّار إلى البصرة فيهم ثمانون بدرياً، ومائتان وخمسون ممّن بايع تحت الشجرة. وبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التي أقامها هؤلاء، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان للتفاهم أو لإتمام الحجّة على عائشة والرجلين، فالتقى بهم صعصعة فلم يسمع منهم إلّا التهديد والخشونة في الكلام، وأرسل الإمام عليه السلام عبدالله بن العبّاس وأمره أن يلتقي بطلحة

والزبير، فلم تنجح مذاكراته معهما.

كان وصول الجيش العلوي إلى البصرة على أحسن هيئة وأجمل نظام، وفيهم المشايخ من أهل بدر والمهاجرين والأنصار، وقوّاد الجيش ومعهم الألوية والرايات، والمواكب تترى بعضها خلف بعض، وفي الأخير وصل موكب الإمام، وهو موكب عظيم وفيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد، ومعهم الإمام وعليه الوقار والسكينة، ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، والجنود خلفه كأنّ على رؤوسهم الطير، والإمام الحسن عن يمينه، والإمام الحسين عن شماله، وابنه محمّد بن الحنفية بين يديه ومعه الراية.

فأمر الإمام عليه السلام ابن عبّاس أن يرجع إلى عائشة ثانياً ويذكّر لها خروجها من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخوّفها من الخلاف على الله، والتبرّج الذي نهاها الله عنه.

دخل ابن عبّاس على عائشة وأدّى رسالته، وذكر لها فضل عليّ وسابقته، ولكنّها لم ترتدع ولم تقنع.

ورجع ابن عبّاس إلى الزبير فوجده وحده، فجعل يلين له في الكلام ويخوّفه عواقب أعماله، ويلومه على إسراعه في الخلاف،

فجاء ابنه عبدالله ، وكان شاباً شرساً قليل الحياء متهوّراً ، وقابل ابن عبّاس بكلّ صلافة . .

وكانت المباحثات بلا جدوى ولا فائدة ، واستعدّ الفريقان للحرب .

كان كعب بن سور سيّد الأزد قد امتنع عن الخوض في المعركة ، فجاء طلحة والزبير إلى عائشة وطلبا منها أن تتوجّه بنفسها إلى كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها ، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور ، فلم يجبها كعب ، فركبت بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إليه بنفسها ، وسألته عن سبب امتناعه ، فقال : يا أُمّاه ، لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة .

فاستعبرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها ، فرقّ لها كعب وأجابها وعلّق المصحف في عنقه وخرج معها .

اشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلى الكوفة إلى طيّ إلى أهل البصرة في نصرة الإمام عليه السلام .

وكان خُطباء الفريقين يخطبون في قومهم ويحرّضونهم على الحرب .

ساحة القتال

كانت ساحة القتال في الخريبة ، وهي اليوم بين الزبير والبصرة يقال لها (الخِر) وهناك قبر طلحة ـ وهي مدينة الزبير حالياً معروفة ـ اصطفّ الفريقان للقتال ، وكتّب كلّ منهما الكتائب .

وخرج عليّ عليه السلام وعليه عمامة سوداء وقميص ورداء ، وهو راكب على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء .

وجاءت عائشة وهي في هودج على بعير ، وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وابنه عبدالله ، وخلفها الجماهير الذين رافقوها من مكّة وانضمّوا إليها في البصرة .

وكان النشاط في أصحاب الإمام أكثر ، وكانوا يريدون الهجوم على العدو ، لكن الإمام يمنعهم ويقول لهم : لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم . فقام إليهم وقال :

« يا أهل البصرة ! هل تجدون عليَّ جوراً في حكم ؟ » .

قالوا : لا .

قال : « فحيفاً في قسم ؟ » .

قالوا : لا .

قال: «فرغبة في دنياً أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم عليَّ فنكثتم بيعتي؟».

قالوا: لا.

قال: «فأقمت فيكم الحدود وعطّلتها عن غيركم؟».

قالوا: لا.

قال: «فما لبيعتي تُنكث وبيعة غيري لا تُنكث؟ إنّي ضربت الأمر أنفه وعينه فلم أجد إلّا الكفر أو السيف».

ثمّ التفت إلى أصحابه وقال: «إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ وَإِن نَكَثُوا أَيْمَانَهُم مِن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾»[1].

ثمّ قال: «والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة واصطفى محمّداً للنبوّة إنّهم لأصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ نزلت».

ثمّ التفت إلى ابن عبّاس وقال له: «امضِ بهذا المصحف إلى طلحة والزبير وعائشة وادعهم إلى ما فيه».

جاء ابن عبّاس فبدأ بالزبير وقال له: «إنّ أمير المؤمنين

---

(١) التوبة / ١٢.

يقول: ألم تبايعني طائعاً ؟ فبِمَ تستحلّ دمي ؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإن شئت تحاكمنا إليه.

فقال الزبير: ارجع إلى صاحبك، فإنّا بايعنا كارهين، ومالي حاجة في محاكمته.

انصرف ابن عبّاس إلى طلحة، فوجد فيه الاستعداد للشرّ والحرب، فقال له: والله، ما أنصفتم رسول الله ﷺ إذ حبستم نساءكم وأخرجتم حبيسته.

ونادى طلحة: ناجزوا القوم، فإنّكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

ورجع ابن عبّاس وأخبر الإمام بالنتيجة السلبيّة، وقال له: ما تنتظر ؟ والله لا يعطيك القوم إلّا السيف، فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك.

فقال الإمام: «نستظهر بالله عليهم». وهناك خرج أمير المؤمنين عليه السلام بين الصفّين وكان حاسراً ونادى بأعلى صوته: أين الزبير ؟ فليخرج».

ثمّ نادى ثانية، وكان طلحة والزبير واقفين أمام صفّيهما، فخرج الزبير، وخرج الإمام إليه، فصاح به أصحابه: يا أمير

المؤمنين! أتخرج إلى الزبير الناكث بيعته وأنت حاسر وهو على فرس شاكي السلاح، مدجّج في الحديد وأنت بلا سلاح ؟!

فقال الإمام: «ليس عليَّ منه بأس، إنّ عليَّ منه جنّة واقية، ولن يستطيع أحد فراراً من أَجَلِه، وإنّي لا أموت، ولا أُقتل إلّا بيد أشقاها، كما عقر الناقة أشق ثمود».

فخرج إليه الزبير، فقال عليه السلام: «أين طلحة ؟ ليخرج» فخرج، وقربا من الإمام، حتى اختلفت أعناق دابتيهما.

فقال الإمام للزبير: «ما حملك على ما صنعت ؟»

فقال الزبير: الطلب بدم عثمان.

فقال الإمام: «أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيّد من نفسك، ولكن أُنشدك الله الذي لا إله إلّا هو، الذي أنزل الفرقان على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم أمَا تذكر يوماً قال لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا زبير! أتحبّ عليّاً ؟ فقلت: وما يمنعني عن حبّه وهو ابن خالي ؟! فقال لك: أمّا أنت فستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم ؟».

فقال له الزبير: اللّهمّ بلى، قد كان ذلك.

فقال الإمام: «فأُنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم

أمَا تذكر يوماً جاء رسول الله ﷺ من عند ابن عوف ، وأنت معه ، وهو آخذ بيدك ، فاستقبلته أنا فسلّمت عليه فضحك في وجهي ، فضحكت أنا إليه ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه أبداً . فقال لك النبيّ ﷺ : مهلاً يا زبير ، فليس به زهو ، ولتخرجنَّ عليه يوماً وأنت ظالم له ؟ » .

فقال الزبير : اللّهمّ بلى ، ولكن نسيت ، فأمّا إذا ذكّرتني ذلك فلأنصرفنّ عنك ، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك .

ثمّ التفت إليهما معاً وقال : « نشدتكما الله ، أتعلمان وأُولوا العلم من أصحاب محمّد وعائشة بنت أبي بكر أنّ أصحاب الجمل ، وأهل النهراوان ملعونون على لسان النبيّ ﷺ وقد خاب مَن افترى ؟ » .

فقال الزبير : كيف نكون ملعونين ونحن من أهل الجنّه ؟!

فقال الإمام : « لو علمت أنّكم من أهل الجنّة لما استحللت قتالكم » .

فقال الزبير : أمَا سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم أُحد : « أوجبت طلحة الجنّة ؟ » و « من أراد أن ينظر إلى الشهيد يمشي على الأرض حيّاً فلينظر إلى طلحة ؟ » .

أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «عشرة من قريش في الجنّة ؟» .

فقال الإمام: «فسمّهم» . فجعل الزبير يعدّ فعدّ تسعة منهم ، وفيهم أبو عبيدة بن الجرّاح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل .

فقال الإمام: «عددت تسعة فمَن العاشر ؟» .

فقال الزبير: أنت .

فقال الإمام: «أمّا أنت فقد أقررت أنّي من أهل الجنّة ، وأمّا ما ادّعيت لنفسك وأصحابك فإنّي به لمن الجاحدين ، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لقد عهد النبيّ الأمّي لي أنّ بعض مَن سمّيت في تابوت في جبٍّ في أسفل درك من جهنّم» .

وفي نسخة: «وإنّ في جهنّم جُبّاً ، فيه ستّة من الأوّلين وستّة من الآخرين ، على رأس ذلك الجبّ صخرة ، إذا أراد الله تعالى أن يسعّر جهنّم على أهلها أمر بتلك الصخرة فرفعت ، وإنّ في ذلك الجبّ مَن سمّيت» .

ثمّ قال الإمام عليه السلام: «دع هذا ، أفلست بايعتني طائعاً ؟» .

فقال الزبير: بلى .

فقال الإمام: «أفوجدت منّي حدثاً يوجب مفارقتي ؟» .

فسكت الزبير ، ثمّ قال : لا جرم والله لا قاتلتك .

ثمّ التفت عليه السلام إلى طلحة وقال : «يا طلحة ! معكما نساؤكما؟».

فقال طلحة : لا .

فقال الإمام : «عمدتما إلى امرأة موضعها في كتاب الله تعالى القعود في بيتها، فأبرزتماها وصنتما حلائلكما في الخيامّ والحجال؟! ما أنصفتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد أمر الله أن لا يكلّمن إلّا من وراء حجاب» .

وأردف عليه السلام قائلاً : «أخبرني عن صلاة ابن الزبير بكما ، أما يرضى أحدكما بصاحبه ؟ أخبرني عن دعائكما الأعراب إلى قتالي ؟ ما يحملكما على ذلك ؟» .

قال طلحة : يا هذا ، كنّا في الشورى ستّة ، مات منّا واحد ، وقتل آخر ، فنحن اليوم أربعة ، كلّنا لك كاره .

فقال الإمام : «ليس ذلك عليَّ ، قد كنّا في الشورى والأمر في يد غيرنا ، وهو اليوم في يدي ، أرأيت لو أردت بعد ما بايعتُ عثمان أن أردَّ هذا الأمر شورى أكان ذلك لي ؟» .

فقال طلحة : لا .

فقال الإمام : «ولِمَ ؟» .

فقال طلحة : لأنّك بايعت عثمان طائعاً .

فقال الإمام : «كيف ذلك والأنصار معهم السيوف مخترطة ، يقولون : لئن زغتم وبايعتم واحداً منكم ، وإلّا ضربنا أعناقكم جميعاً ؟ فهل قال لك ولأصحابك أحد شيئاً من هذا وقت ما بايعتماني ؟ وحجّتي في الاستكراه في البيعة أوضح من حجّتك وقد بايعتني أنت وأصحابك طائعين غير مكرهين ، وكنتما أوّل من فعل ذلك ولم يقل أحد : لتبايعان أو لنقتلكما » .

موقف الزبير

ثمّ انصرف الرجلان إلى صفّهما ، فأراد الزبير الخروج من الحرب والانصراف إلى البصرة ، فقال له طلحة : مالك يا زبير ؟ مالك تنصرف عنّا ؟ سحرك ابن أبي طالب ؟ فقال الزبير : لا ، ولكن ذكّرني ماكان أنسانيه الدهر ، واحتجّ على بيعتي له .

فقال طلحة : لا ، ولكن جبنت وانتفخ سحرك .

فقال الزبير : لم أجبن ، ولكن أُذكر فذكرت .

فقالت عائشة : ما وراءك يا أبا عبدالله ؟

فقال الزبير : الله ورائي ، إنّي ما وقفت موقفاً في شرك

ولا إسلام إلّا ولي فيه بصيرة ، وأنا اليوم على شكٍّ من أمري ، وما أكاد أُبصر موضع قدمي .

فقالت عائشة : لا والله ، بل خفت سيوف ابن أبي طالب ، أما إنّها طوال حداد ، تحملها سواعد أمجاد ، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك .

فقال ابنه عبدالله : جبناً جبناً .

فقال الزبير : يا بنيّ ، قد علم الناس أنّي لست بجبان ، ولكن ذكّرني عليٌّ شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أُقاتله .

فقال عبدالله بن الزبير : يا أبة ! جئت بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفّا للحرب قلت اتركها وانصرف ! فما تقول قريش غداً بالمدينة ؟! الله الله يا أبة ، لا تشمت بنا الأعداء ، ولا تشنّ نفسك بالهزيمة قبل القتال .

فقال الزبير : ما أصنع يا بني وقد حلفتُ أن لا أُقاتله ؟

فقال ابنه : كفّر عن يمينك ، ولا تفسد أمرنا .

فقال الزبير : عبدي مكحول حرٌّ لوجه الله ، كفارةً ليميني .

ثمّ عاد معهم للقتال ، فعند ذلك أخذ الإمام عليه السلام المصحف

بيده وطلب مَن يقرأ عليهم هذه الآيـة : ﴿ وَإِن طَـائِفَتَانِ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَـغَتْ إِحْـدَاهُـمَا عَـلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ ﴾[(١)].

فقام غلام حدث السنّ من مجاشع ، يقال له (مسلم) عـليه قباء أبيض ، فقال له : أنا آخذه يا أمير المؤمنين .

فقال له : « يا فتى ! إنّ يدك اليمـنى تُـقطع ، فـتأخذه بـيدك اليسرى فتقطع اليسرى ، ثمّ تضرب عليه بالسيف حتى تُقتل ».

فقال الفتى : لأصبر على ذلك .

فنادى الإمام ثانيةً ، فقام الفتى ثانيةً ، فأعاد عليه مقالته ، فقال الفتى : لا عليك ، فهذا قليل في ذات الله ، فأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف ، وقال : هذا كتاب الله ، وأمـير المـؤمنين يدعوكم إلى ما فيه .

فأمرت عائشة بإعدامـه ، فـقطعوا يـديه ، ثمّ أحـاطوا بـه وطعنوه بالرماح من كلّ جانب .

وكانت أُمّه واقفة تنظر فصاحب فطرحت نفسها على ولدها.

---

(١) الحجرات / ٩.

واقعة الجمل الكبرى

كان الإمام عليه السلام ينتظر وقت الظهر لتنزل الملائكة ، وكان يقول : «لا تقاتلوا القوم حتّى يبدأوكم ، فإنّكم بحمد الله على حجّة ، وكفّكم عنهم حجّة أُخرى ، فإذا قاتلتموهم فلا تُجْهِزوا على جريح ، فإذا هزمتموهم فلا تتّبعوا مدبراً ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً ، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً ، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أُمراءكم وصلحاءكم ، فإنّهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول ...» إلى آخر الوصايا .

كانت سهام القوم تترى على الإمام وأصحابه كالمطر ، فصاح الناس : حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلون رجلاً رجلاً ، والله قد أعذرت إن كنت تريد الإعذار .

هناك دعا الإمام ابنه محمّد بن الحنفية فأعطاه الراية ، وهي راية سوداء كبيرة ، وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له : «يا بني ! هذه راية ما رُدّت قطّ ولا تردّ قطّ» .

ثمّ لبس الإمام درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحزم بطنه بعصابةٍ

أسفل من سُرّته ، ثمّ قال لولده محمّد بن الحنفية : « يا أبا القاسم ! قد حملتُ الراية وأنا أصغر منك فلما استفزّني عدوّي ، وذلك أنّي لم أُبارز أحداً إلّا حدّثتني نفسي بقتله ، فحدّث نفسك ـ بعون الله تعالى ـ بظهورك عليهم » . وأعطاه تعاليم حربية .

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام ، فصاح الإمام بابنه محمّد : « امض » . فمضى ، وتبعه أصحابه واشتعلت الحرب ، ودار القتال .

وأقبل الإمام يهرول وبيده السيف يصعد ويَنزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدي ولا يتلطّخ السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف الدم ، وزحف الجيش خلفه .

وحمل عمّار بن ياسر على الميسرة ، ومالك الأشتر على الميمنة ، وحملوا حملة رجل واحد ، ونادى الإمام : « عليكم بالسيوف » . فجعلوا يضربون بالسيوف على الرؤوس .

ثمّ نادى المنادي : عليكم بالأقدام ، وكان للفريقين أراجيز كثيرة ، مذكورة في كتب التاريخ .

وقُتِلَ طلحة في ذلك اليوم ولم يُعرف قاتله ، قيل : إنّ مروان بن الحكم رماه بسهم فقتله يطلب بذلك ثأر عثمان ، وهو يقول :

أينما أصابت فتح .

وكان أهل البصرة كلّ من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل ويرتجز ويقاتل حتّى يقتل ، فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول :

يا معشر الأزد عليكم أُمّكم فإنّها صلاتكم وصومكم
والنعمة العظمى التي تعمّكم فاحضروها جدّكم وحزمكم
لا يغلبن سمُّ العدو سمكم إنّ العدو إن علاكم رمّكم
وخصّكم بجوره وعمّكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقاتل حتّى قتل ، فخرج آخر فأخذ بخطام الجمل وارتجز :

يا أُمّ يا أُمّ خلا مني الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
مَن هيهنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم علي ألغبن
أو فاتنا ابناه حسين وحسن إذن أمت بطول هم وحزن

انتصار جيش الإمام

واشتعلت نار الحرب ، واستعر القتال ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فصاح الإمام عليه السلام : « ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج ، اعقروا

الجمل أو عرقبوه ، فإنّه شيطان » .

أو قال : « اعقروه وإلّا فنيت العرب لا يزال السيف قائماً وراكعاً ، يحصد الرؤوس حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض » .

فضرب عجز الجمل فوقع لحينه ، وضرب بجرانه الأرض ، وعجَّ عجيجاً لم يسمع بأشد منه ، فما هو إلّا أن صُرع حتى فرَّ الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديد الهبوب ، وسقط الهودج.

فصاح الإمام اقطعوا البطان . فقطعه محمّد بن أبي بكر أخو عائشة وكان من أصحاب الإمام ، وأُخرج الهودج فقالت عائشة : مَن أنت ؟

فقال محمّد : أبغضُ أهلِكِ إليكِ .

فقالت عائشة : ابن الخثعمية[1] ؟

---

(١) كانت أسماء بنت عميس الخثعمي امرأة مؤمنة صالحة، وكانت زوجة جعفر الطيّار(ع) ولمّا استشهد في معركة مؤتة، تزوّجها أبو بكر وأولدت منه محمّداً هذا، ولمّا مات عنها أبو بكر تزوّجها أمير المؤمنين(ع) وكان محمّد بن أبي بكر صغير السنّ، فتربّى في كنف الإمام، فكان ربيبه ومن أخلص أصحابه كان الإمام(ع) يقول: «محمّد ابني ولكنّه من صلب أبي بكر»، وكان من أخلص »

فقال محمّد: نَعَم، ولم تكن دون أُمّهاتكِ.

فقالت عائشة: لعمري بل هي شريفة، دع عنك هذا، الحمد الله الذي سلّمك.

فقال محمّد: قد كان ذلك ما تكرهين.

فقالت عائشة: يا أُخي لو كرهته ما قلت الذي قلته.

فقال محمّد: كنت تحبّين الظفر وأنّي قتلت؟

فقالت عائشة: قد كنت أُحبّ ذلك، ولكنّه لمّا صرنا إلى ما صرنا إليه أحببت سلامتك لقرابتي منك، فاكفف ولا تعقّب الأُمور، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عذلة.

« أصحاب الإمام وأحبّهم إليه، وقد ولّاه أخيراً إمارة مصر من قبله، وبدسائسٍ من معاوية وعمرو بن العاص، تمكّنا من إثارة بعض الغوغائيّين عليه فقتلوه، وقيل قتل بالعسل المسموم، وبعدها أُدخل جسده في جوف حمار وأُحرق، وقبره لحدّ اليوم شاخص في مصر ومعلوم..

كما أنّ معاوية أرسل من يسّم الوالي الجديد على مصر، بالطريق بالعسل المسموم، وهو الصحابي الجليل مالك الأشتر النخعي، وعندما علم أمير المؤمنين(ع) رثاه وقال كلمته المشهورة: «كان مالكاً لي كما كنت لرسول الله».

وجاء الإمام فقرع الهودج برمحه وقال: « يا حميراء! بهذا أوصاك رسول الله ﷺ ؟!» .

فقالت: يابن أبي طالب ، ملكت فاصفح وظفرت فاسجع .

فقال الإمام: « والله ما أدري متى أشفي غيظي ؟ أحين أقدر على الانتقام يقال لي: لو عفوتَ ؟! أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي: لو صبرت ، بل أصبر فإنّ لكل شيءٍ زكاة ، وزكاة القدرة والمكنة العفو والصفح» .

ثمّ التفت عليه السلام إلى محمّد بن أبي بكر وقال: « شأنك بأُختك ، فلا يدنو منها أحد سواك» .

وأمر الإمام عليه السلام فاحتملت عائشة بهودجها إلى دار عبدالله بن خلف في البصرة ، وأمر بالجمل أن يُحرق ثمّ يذرى رماده في الريح ، وقال عليه السلام إشارة إلى الجمل: « لعنه الله من دابّة ، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل» .

ثمّ تلا: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً﴾(١) .

---

(١) طه / ٩٧.

ركبت عائشة وهي تقول: فخرتم وغلبتم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ونادى الإمام: «يا محمّد بن أبي بكر، سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام؟» فسألها، فقالت: نعم، وصل إليَّ سهم، خدش رأسي وسلمت من غيره، الله بيني وبينكم.

فقال محمّد: الله ليحكمنَّ عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه وتؤلّبين الناس على قتاله وتنبذين كتاب الله وراء ظهرك.

فقالت عائشة: دعنا يا محمّد وقل لصاحبك يحرسني.

فأمر الإمام أن يحملها أخوها إلى دار ابن خلف في البصرة، فحملها وهي لا تفتر عن سبِّ الإمام وسبِّ أخيها محمّد، والترحّم على أصحاب الجمل.

ومرّ الإمام على القتلى وجعل يخاطبهم ويعاتبهم، وخاطب كعباً وطلحة، فقيل له: أتكلّم هؤلاء بعد القتل؟

فقال: «والله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ يوم بدر».

ثمّ نادى منادي الإمام: مَن أحبَّ أن يواري قتيله فليواره،

وأمر أصحابه وقال لهم: واروا قتلانا في ثيابهم التي قُتِلوا فيها، فإنّهم يُحشرون على الشهادة، وإنّي لشاهدٌ لهم بالوفاء.

فجاء ابن عبّاس يطلب الأمان لمروان بن الحكم، فأمره الإمام بإحضاره، فلمّا حضر قال له الإمام: «أتبايع؟» فقال: نعم وفي النفس ما فيها.

فقال الإمام: «الله أعلم بما في القلوب». فلمّا بسط يده ليبايعه أخذ كفّهُ من كفّ مروان وجذبها، وقال: «لا حاجة لي فيها، إنّها كفٌّ يهودية، لو بايعني بيده عشرين مرّة لنكث باسته».

ثمّ قال: «هيه يابن الحكم، خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة؟! كلا والله، حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأُمّة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبّرة، ومن المناسب هنا أن أنقل نصّ كلام ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢٢ و ٢٣)، قال:

وأمّا الحلم والصفح، فكان أحلمَ الناس عن ذنب، وأصفحَهم عن مسيء؛ وقد ظهر صحّة ما قلناه يومَ الجمل؛ حيث ظفر بمروان بن الحكم ـ وكان أعدى الناس له، وأشدهم بغضاً ـ

فصفح عنه .

وكان عبدالله بن الزبير يشتِمه على رؤوس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : قدِ أتاك الوَغد اللئيم عليّ بن أبي طالب ـ وكان عليٌّ عليه السلام يقول : « ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت » حتّى شبّ عبدالله ـ فظفر به يوم الجمل ، فأخذه أسيراً ، فصفح عنه ، وقال : « اذهب فلا أرَينَّكَ » ؛ لم يزده على ذلك .

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة ، وكان له عدوّاً ، فأعرض عنه ولم يقلْ له شيئاً .

وقد علمتم ما كان من عائشة في أمره ، فلمّا ظفر بها أكرمها ، وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّمهنّ بالعمائم ، وقلّدهنّ بالسيوف ، فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يُذكر به ، وتأفّفت وقالت : هَتَك ستري برجاله وجنده الذين وكَّلَهم بي ، فلمّا وصلت المدينة ألْقى النساء عمائمهنّ ، وقلن لها : إنّما نحن نسوة .

وحاربه أهل البصرة ، وضربُوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف ، وشتموه ولعنوه ، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم ، ونادَى مناديه في أقطار العسكر : ألّا لا يتّبع مولٍّ ، ولا يُجهَزُ على

جَرِيحٍ ، ولا يُقتل مستأسر ، ومَن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومَـن تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن . ولم يأخذ أثقالَهم ، ولا سبـيَ ذراريّهم ، ولا غَنِمَ شيئاً من أموالهم ، ولو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل ، ولكنّه أبى إلّا الصفح والعفو وتقيّل سنةَ رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة ، فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد ، والإساءة لم تُنْسَ ، انتهى كلام المعتزلي .

مقتل الزبيـر

أمّا الزبير فإنّه خرج من المعركة ووصل إلى منطقة في ضواحي البصرة يقال لها « وادي السباع » فقتله ابن جرموز غيلة وأخذ رأسه وسيفه وخاتمه ، وجاء بها إلى معسكر الإمام ، فـاستأذن ودخل وإذا به يرى القائد الأعلى للمسلمين جالساً ، بين يديه ترس عليه قرص من خبز الشعير ، فسلّم عليه ، وهنّأه بالفتح عن الأحنف ، لأنّ الحرب قد وضعت أوزارها حينئذٍ ، وقال : أنا رسول الأحنف ، وقد قـتلتُ الزبـير ، وهـذا رأسـه وسـيفه . فألقاهما بين يديه .

فقال الإمام : « كيف قتلته ؟ وما كان من أمره ؟ فحدّثنا كيف

كان صنعك به ؟ » .

فقصّ عليه ما جرى فقال : ناولني سيفه ، فناوله ، فاستلّه وهزّه وقال : « سيف أعرفه ، طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

ثمّ التفت الإمام إلى ابن جرموز قائلاً : « والله ، ما كان ابن صفيّة جباناً ولا لئيماً ، ولكن الجبن ومصارع السوء » .

ثمّ تفرّس في وجه الزبير وقال : « ومنه قرابة ، ولكن دخل الشيطان منخرك فأوردك هذا المورد » .

فقال ابن جرموز : الجائزة يا أمير المؤمنين .

فقال عليه السلام : « أمَا إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار » .

وقبض أمير المؤمنين عليه السلام ما وجد في عسكر الجمل من سلاح ودابّة ومملوك ومتاع فقسّمه بين أصحابه .

فقال بعض أصحابه : أقسم بيننا أهل البصرة ، فاجعلهم رقيقاً .

فقال : « لا » .

فقالوا : كيف تحلّ لنا دماءهم وتحرّم علينا سبيهم ؟

فقال: «كيف يحلّ لكم ذرّية ضعيفة دار هجرة الإسـلام ؟ وأمّا ما جلب به القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم، وأمّا ما وارت الدور وأُغلقت عليه الأبواب فهو لأهله، ولانصيب لكم في شيء منه».

فلمّا أكثروا عليه القول قال: «فاقرعوا على عائشة لأدفعها إلى مَن تصيبه القرعة».

فقالوا: نستغفر الله يا أمير المؤمنين. ثمّ انصرفوا.

فلمّا دخل عليه السلام بيت المال في نفرٍ من المهاجرين والأنـصار، ونظر إلى كثرة ما فيه قال: «غرّي غيري» مراراً.

ثمّ نظر إلى المال وصعّد وصوّب بصره، وقال: «اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة».

فقسّم بينهم، فلا والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ نبيّاً ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنّه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكـان مقدار المال ستة ملايين، وعدد أصحابه اثنا عشر ألف رجل، وأخذ هو خمسمائة درهم كواحد منهم.

فجاءه رجل لم يحضر الواقعة فقال: يا أمير المؤمنين! كـنت شاهداً بقلبي، وإنْ غاب عنك جسمي، فاعطني من الفيء شيئاً.

فدفع إليه الذي أخذه لنفسه ، ولم يصب من الفيء شيئاً .

وفي رواية أُخرى: جاء رجل فقال: إنّ اسمي سقط من كتابك . فقال عليه السلام : « ردّوها عليه » ثمّ قال: « الحمد الله الذي لم يصل إليَّ من هذا المال شيء » .

ولمّا فرغ من تقسيم بيت المال قام خطيباً في أصحابه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

« أيّها الناس ! إنّي أحمد الله على نعمةٍ قتل طلحة والزبير ، وأيم الله لو كانت عائشة طلبت حقّاً ، وهانت باطلاً ، لكان لها في بيتها مأوى ، وما فرض الله عليها الجهاد ، وإنّ أوّل خطأها في نفسها ، وما كانت ، والله على القوم أشأم من ناقة الصخرة ، وما ازداد عدوكم إلّا حقداً ، وما زادهم الشيطان إلّا طغياناً ، ولقد جاؤوا مبطلين ، وأدبروا ظالمين ، إنّ اخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله وآمنوا يرجون مغفرة الله ، وإنّنا لعلى الحقّ وإنّهم لعلى الباطل ، ويجمعنا الله وإيّاهم يوم الفصل ، واستغفر الله لي ولكم » .

أرسل الإمام عليه السلام ابن عبّاس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل ، وقلّة العرجة ـ الإقامة ـ فجاءَها ابن عبّاس وهي في

قصر بني خلف ، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له ، فدخل عليها بغير إذنها ، فإذا بيت قفار لم يُعد فيه مجلس ، فإذا هي من وراء سترين ، نظر ابن عبّاس إلى ما في الحجرة ، فوقع بصره على طنفسة على رحل ، فمدَّ الطنفسة وجلس عليها .

فقالت عائشة من وراء الستر : يابن عبّاس ، أخطأت السنّة ، دخلت بيتنا بغير إذننا ، وجلست على متاعنا بغير إذننا .

فقال ابن عبّاس : نحن أولى بالسنّة منك ونحن علّمناك السنّة ، وإنّما بيتك الذي خلّفك فيه رسول الله ﷺ فخرجتِ منه ظالمة لنفسكِ ، غاشّة لدينك ، عاتية على ربّك ، عاصية لرسول الله ، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلّا بإذنكِ ولم نجلس على متاعكِ إلّا بأمركِ ، إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلّة العرجة .

فقالت عائشة : رحم‌الله أميرالمؤمنين ، ذاك عمر بن الخطّاب.

فقال ابن عبّاس : هذا والله أمير المؤمنين ، وإن تربّدت فيه وجوه ، ورغمت معاطس ، أمَا والله لهو أمير المؤمنين ، وأمسّ برسول الله رحماً ، وأقرب قرابة ، وأقدم سبقاً وأكثر علماً ، وأعلى مناراً ، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر .

فقالت عائشة : أبيت ذلك .

فقال ابن عبّاس : أما والله ، إن كان إياؤكِ ـ أي عدم قبولك ـ فيه لقصير المدّة ، عظيم التبعة ، ظاهر الشؤم ، بيّن النكر ، وما كان إيّاؤكِ فيه إلّا حلب شاة حتّى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين ، وما كان مثلك إلّا كمثل ابن الحضرمي ابن يحمان أخي بني أسد حيث يقول :

ما ذاك إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتّى تركتهم كأنّ قلوبهم في كلّ مجمعة طنين ذباب

سمعت عائشة فأرقات دمعها ، وبدا عويلها ، ثمّ قالت : أخرج والله عنكم ، فما في الأرض بلد أبغض إليَّ من بلد تكونون فيه .

فقال ابن عبّاس : فَلِمَ ؟ والله ماذا بلاؤنا عندك ، ولا يضعنا إليك ، إنّا جعلناك للمؤمنين أُمّاً ، وأنت بنت أُمّ رومان ، وجعلنا أباك صدّيقاً وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الودك ـ الخمر ـ لابن جذعان إلى أضيافه .

فقالت : يابن عبّاس تمنّون عليَّ برسول الله ؟

فقال: وَلِمَ لا نمنّ عليكِ بمن لو كان منك قلامة منه مننتنا به ؟ ونحن لحمه ودمه ومنه، وما أنت إلّا حشية من حشايا تسع، خلّفهن بعده، لست بأبيضهنّ لوناً، ولا بأحسنهنّ وجهاً، ولا بأرشحهنّ عرقاً، ولا بأنضرهنّ ورقاً، ولا بأطهرهنَّ أصلاً، صرتِ تأمرين فتطاعين، وتدعين فتجابين، وما مثلك إلّا كما قال أخو بني فهر:

مننت على قومي فأبدوا عداوة
فقلت لهم: كفّوا العداوة والشكرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقكم
وأحجى بكم أن تجمعوا البغي والكفرا

ثمّ نهض ابن عبّاس وأتى الإمام فأخبره بمقالتها، وما ردّ عليها، فقال عليه السلام: «أما إنّي كنت أعلم بك حيث بعثتك».

استمرّت الحرب من الزوال إلى الغروب، وقيل استمرّت ثلاثة أيام، وعلى كلّ حال فقد بلغ عدد القتلى خمسة وعشرين ألف قتيل: ستّة الآف من أصحاب الإمام، والباقون من أصحاب الجمل، وأمّا الأيدي والأرجل التي قطعت فقد بلغ

عددها أربعة عشر ألفاً .

وهكذا روت الأرض الدماء ، وهكذا زهقت الأرواح ، ولا تسأل عن الجرحى ولا تسأل عن أرامل القتلى ويتاماهم .

كل هذا لمصلحة مَن ؟ هذا والكلام طويل والحديث ذوشجون، وفي هذا المقدار كفاية ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

نقلنا بعض وقائع هذه القصة من كتاب «عليّ من المهد إلى اللحد» للسيّد الخطيب القزويني مع الاختصار في العبارة ، أمّا المعنى فواحد ، ومن كتاب نهج البلاغة ، ومن بحار الأنوار وموسوعة إحقاق الحقّ . . .

وروى هذه الواقعة معظم علماء القوم ومحدّثيهم وحفّاظهم ومؤرّخيهم بألفاظ مختلفة متقاربة ، مفصّلة وموجزة ، في مسانيدهم وكتبهم التاريخية ، فراجعها في مظانّها .

ملخّص واقعة الجمل الصغرى

وبلفظ آخر موجز ، أذكر ملخّص معركة الجمل الصغرى والكبرى اقتطفت بعض بنودها من كتاب «النصّ والاجتهاد» المورد ٨٥ من ص٢٩٨ إلى ص ٣١٦:

كانت عائشة من المؤلّبين على قتل عثمان ، وربّما كانت من أبرزهم ، وهي أوّل مَن رفعت شعار الفتنة على قتله ، وذلك بعد ما جاءته هي وحفصة تطالبانه بإرثهما من رسول الله ﷺ وبعدما ردّهما ذلك الردّ القاطع بقوله : إذا كان أبواكما قد ورّثا فاطمة عليها السلام فإنّي أورثّكما ، وإنّما افتريا على الرسول ﷺ كذباً بقولهما : أنّ رسول الله ﷺ قال : «إننّا معاشر الأنبياء لا نورث وإنّ ما تركناه صدقة ، وحرَما فاطمة بنت رسول الله ﷺ ميراثها من أبيها ، وبعد خروجهما من داره رفعت عائشة علم الثورة على عثمان بقولها وقد أبرزت قميص رسول الله ﷺ : هذا قميص رسول الله لم يبل وعثمان أبلى سنّة رسول الله وبدّل وغيّر ، اقتلوا نعثلاً فقد كفر . شبّهته بأحد منافقي يهود المدينة حينذاك ، وكان اسمه نعثل . كما أنّ عمرو بن العاص هيّج الناس من جانب آخر .

وبعد أن لقحت الفتنة وتيقّنها من إشعال نارها ، وأنّ عثمان حوصر في داره بالمدينة خرجت وحفدتها إلى مكّة ، تنتظر النتيجة ، وبعد اشتداد الفتنة ومقتل عثمان بسوء أعماله ، وانتخب الإمام أمير المؤمنين للخلافة بصورة إجماعية ، بعد امتناعه

الشديد وإصراره على عدم قبولها ، قائلاً لهم : « أنا أحدكم أرضى ما ترضون به ، دعوني لكم وزير خير من أمير » . وبعد الضغط والالحاح خاف من تفرّق كلمتهم قبل البيعة له ، فكان أوّل مَن بايعه وأصفق على يده طلحة والزبير ، ثمّ انهالت الناس عليه بشكل لم يسبق له مثيل مبايعين طائعين غير مكرهين .

وعندما سمعت عائشة بمقتل عثمان ، قالت : لقد أراح الناس من شرّه . بعدها سألت : مَن أُنتخب من بعده ؟ فلمّا قيل لها : الإمام عليّ بن أبي طالب ، صاحت من ساعتها بأعلى صوتها : ليت السماء انطبقت على الأرض ، قتل عثمان مظلوماً بعد أن استتابه . وجيّشت الجيوش والناس على قتال الإمام أمير المؤمنين ، ورفعت هذه المرّة شعار الثأر بدم عثمان ، وحصل من أعانها على ذلك لبلوغ هدفها ، وبذل لها الخيل والسلاح والرجال ، وفي مقدّمتهم بني أُميّة، وعلى رأسهم مروان بن الحكم.

وبعد وصول طلحة والزبير إلى مكّة والتحاقهما بالركب اشتدّ أزر المعارضة ، وأسرعا في تسيير الجيوش إلى البصرة ، وكان في مقدّمة قوّاده طلحة والزبير ، وتَبعهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير وغيرهم ، وكان ذلك في أواخر ربيع

الأوّل من سنة ٣٦هـ، وفي العشرة الاخيرة بعد منتصف ربيع الثاني وصلت عائشة مع جيوشها البصرة .

وفي يوم ٢٥ ربيع الثاني هجم عسكر عائشة على والي البصرة من قِبل أمير المؤمنين (عثمان بن حنيف) فجراً ، وكان يصلّي بالناس صلاة الصبح في الجامع الأكبر ، فقتلوا مَن عارضهم من المصلّين ، ثمّ أخذوه ومَن كان من أعوانه ، وكبّلوهم بالحديد ، وبعدها هجموا على دار الإمارة ، وقتلوا حرّاسه ، وكان عددهم سبعين حارساً بأمرٍ من عائشة ، قتلوهم صبراً بيد الزبير وابنه المشؤوم عبدالله ، وأرادوا قتل الوالي عثمان ابن حنيف غير أنّه هدّدهم بأخيه سهل بن حنيف والي الإمام على المدينة حينذاك ، فتركوه بعد أن نتفوا لحيته وشاربه وشعر رأسه وحتّى أشفار عينيه وأوجعوه ضرباً .

وبعدها هجموا على بيوت أموالى المسلمين بقيادة الزبير ، وكان على حراسته خمسين حارساً بعد أن قاوموا مقاومة شديدة وأبلوا بلاءً حسناً قتلوهم ، واستولوا على الأموال ، ونهبوا كلّ ما وجدوه .

ولمّا سمع حكيم بن جبلة ما صنع جيش عائشة بعثمان بن

حنيف وقتل حرّاس دار الإمارة وحرّاس بيوت أموال المسلمين ونهب ثرواته؛ خرج في ثلاثمائة رجل من عشيرته، عبدقيس، وكان سيّدهم لمحاربة الغازين، فخرجت عائشة راكبة على جملها (عسكر) ومعها جيشها الضالّ، فحاربت القوم حرباً ضروساً، وتجالدوا بالسيوف والرماح وأبلوا بلاءً حسناً، حتّى قتل حكيم بن جبلة ومَن معه من عشيرته من عبد قيس جميعهم، وكانوا جميعاً مؤمنين صالحين رحمهم الله.

وكذلك حدثت بعدها معارك أُخرى بين بعض المؤمنين وبين جيش عائشة في موقعين أو ثلاث أو أكثر من ذلك، حتّى قتل أكثر من خمسمائة شخص من المؤمنين، كما قتل من جيش عائشة بقدرهم أو ربّما أكثر، وكلّ هذه المعارك حدثت قبل وصول الإمام أمير المؤمنين وجيشه البصرة.

وهذه الحرب هي: (واقعة الجمل الصغرى).

ملخّص واقعة الجمل الكبرى

أمّا واقعة الجمل الكبرى فقد حدثت في يوم الخميس لعشرٍ خلون من جُمادى الأوّل من سنة ٣٦هـ نفس السنة، عندما وصل

الإمام البصرة بجيوشه ، وحاول محاولات عديدة ، وبذل جهوداً جبّارة في إخماد نار الفتنة ، وحذّرهم وأنذرهم وألقى عليهم الحجج ، وكان آخر إنذار لهم أن أرسل المصحف الشريف على رأس شاب مؤمن من عسكره يدعوهم إلى العمل بموجبه فكان جوابهم أن قطعوا يمينه وشماله وقتلوه أبشع قتلة ، وما اكتفوا بهذا حتّى رشقوا جيش الإمام عليه السلام بالسهام والنبال ، وابتدأوا الحرب ، فاشتدّت ، فكانت حرباً ضروساً ، أكلت الرجال كما تأكل النار الهشيم .

وبعد أن نصر الله تعالى جنده ، بقيادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وانكسار جيش أصحاب الجمل وهزيمتهم ، اُحصي مَن قُتِل من جيش عائشة فكانوا حوالي الثلاثة عشر ألفاً أو يزيدون ، ومن بينهم طلحة .

أمّا الزبير فقد قُتِل بوادي السباع بعد أن ترك ساحة المعرك راجعاً إلى المدينة بعد تذكيره الإمام حديث الرسول ، وقد قتله ابن جرموز غيلةً وجاء برأسه وسيفه وخاتمه إلى الإمام ، فلمّا رآه وقصَّ عليه كيفيّة قتله ، قال الإمام : « سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : بشّر قاتل ابن صفيّة بالنار » .

وهكذا روت أرض البصرة بدماء المسلمين من كِلا الطرفين ، وأُزهِقت أرواحهم . ولا تسأل عن الأعضاء المقطّعة والجرحى ولا تسأل عن أرامل القتلى وأيتامهم ، كلّ هذا لمصلحة مَن ؟!

وهو موقف يطول مقامه ، وكلام ذو شجون فإلى مَن نلتجيء وإلى من نشكو ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

روى هذه الواقعة معظم العلماء ورجال سير التاريخ ، ومحدّثيهم وحفّاظهم بألفاظ مختلفة ، لا تخرج عن معنى ما ذكرناه مفصلّة وموجزة في مسانيدهم وتاريخهم ، فراجع إن أردت الاستقصاء في مظانّها .

ذكر ابن الصبّاغ في الفصول المهمّة ص٨٦ (ط. النجف وطهران) ، قال : ذكر نقلة الأخبار وأصحاب التاريخ أنّ عدد من قُتِل من أهل الجمل ستّة عشر ألفاً وسبعمائة وتسعون رجلاً « ١٦/٧٩٠ » وكانت جملتهم ثلاثين ألفاً ، فأتى القتل على أكثر من نصفهم ، وأنّ عدد من قُتِل من أصحاب عليّ عليه السلام ألف وسبعون رجلاً « ١٠٧٠ » وكانت عدّتهم عشرين ألفاً ، وقيل غير ذلك والله العالم .

وفي بعض الروايات أنّ المقتولين في هذه المعركة بلغ خمسة وعشرون ألفاً عدا المجروحين والذين قطعت أيديهم وأرجلهم والتي بلغت أربعة عشر ألفاً ، منهم حوالي الثمانية عشر ألفاً أو يزيدون من أصحاب الجمل ، والباقي حوالي الستّة آلاف أو يزيدون استشهدوا من جيش الإمام عليه السلام ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وبعد رجوع عائشة إلى المدينة مدحورة عاتبتها أُمّ المؤمنين السيّدة أُمّ سلمة على عصيانها أمرها وخروجها إلى البصرة بأبيات مطلعها :

لو كان معتصماً من زلّة أحد
كانت لعائشة الرتبى على الناسِ
من زوجة لرسول الله فاضلة
وذكر آي من القرآن مدراسِ
وحكمة لم يكن إلّا لهاجها
في الصدر تذهب عنها كلّ وسواسِ
وينزع الله من قوم عقولهم
حتّى يمرّ الذي يقضي على الرأسِ

ويـــــرحــــم الله أُمّ المــؤمنين لقـــد
تـــــبدّلت بي ايحــــاشاً بــــايناسِ

لمّا سمعت عائشة أبيات أُمّ سلمة قـالت لهـا: شـتمتيني يـا أُخت، فقالت أُمّ سلمة: ولكن الفتنة إذا أقـبلت غـطّت عـلى البصيرة، وإذا أدبرت أبصرها العاقل والجاهل.

لمصلحة مَن قُتِل هذا العدد من المسلمين واُهريقت دماؤهم ويتّمت أطفالهم ورمّلت نساؤهم وثكلت أُمّهاتهم واخوانهم؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

معركة صفّين

بعدما انتهت معركة الجمل في البصرة ووضعت الحرب أوزارها رجع الإمام عليه السلام إلى الكوفة مظفّراً منصوراً ، وجعل الكوفة مقرّاً لحكمه ، وعاصمةً لإدارة شؤون المسلمين والدولة الإسلامية المترامية الأطراف .

ولمّا استقرّ به المقام عليه السلام ، بعث بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية ، فقال لهم : « ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة واحتجّوا عليه وانظروا ما رأيه » ، وكان ذلك أوّل ذي الحجّة من سنة ٣٦هـ ، فلمّا دخل الوفد عليه وأبلغوه رسالة الإمام وجرت بينهم حادثات ومحاججات كثيرة وتبادل الكتب والرسائل ، لم تُجْدِ معاوية تلك السفارة نفعاً .

وبعد أيام بعث الإمام عليه السلام وفداً آخر يضمّ عدي بن حاتم

الطائي ، ويزيد بن قيس الأرحبي ، وشبث بن ربعي ، وزياد بن خصفة بالسفارة إتماماً للحجّة وتوكيداً للسلام والموادعة ، ولكن معاوية طغى وتجبّر وصمّم على الحرب والمواجهة المسلّحة مع الإمام ، وقد سبق أن بعث أمير المؤمنين عليه‌السلام إلى معاوية كتاباً بيد رجل من أصحابه إلى الشام ، وبعد أن استلم معاوية الكتاب ، وفشل سفارة الوفود جمع بعض أصحابه وأطلعهم على مضمون الكتاب ، وأمرهم باشاعة هذا الخبر وإذاعته بين الناس؛ أنّ عليّاً قتل عثمان ، ومعاوية وليّ دمه ، فيجب الطلب بثأر عثمان ودمه ، وأعانه على هذه الفكرة ، عمرو بن العاص ، واشترط على معاوية أنّه إذا أعانه على حرب الإمام عليه‌السلام وأخرجوا مصر من تحت سلطة أمير المؤمنين عليه‌السلام يكون عمرو بن العاص والياً وأميراً على مصر ، ولا يدفع لمعاوية خراجها لمدّة عشر سنين ، فقبل معاوية هذا الشرط فبايعه على ذلك ، كما أنّ أهل الشام بايعوا معاوية على حرب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين .

فنهض معاوية بجيشه وأقبل إلى « صفّين » وهي أرض واسعة كبيرة ، مستعداً للقتال . وأقبل الإمام بجيشه حتّى عسكر في ذلك المكان .

وبعد أيام وصل أبو الأعور السلمي على مقدّمة جيش معاوية إلى منطقة صفّين ، الكائنة بالقرب من مدينة الرقّة في سوريا ، ونزل منزلاً مستوياً واسعاً ، واستولوا على شريعة نهر الفرات ، ووصل بعدها مالك الأشتر ومعه أربعة آلاف مقاتل ، وهم مقدّمة الجيش العلوي ، فاصطدموا بجيش أبي الأعور السلمي وأزالوهم عن الفرات ، بعدها وصل معاوية مع جيشه الجرّار ، فانسحب مالك الأشتر عنها ، فاستولى معاوية بجيشه على شاطئ نهر الفرات ، وصار الماء تحت سيطرتهم .

ولمّا وصل الإمام عليه السلام ومعه مائة ألف مقاتل أو يزيدون ، أمرهم الإمام أن ينزلوا ويضعوا أثقالهم ، وتسرّع بعضهم إلى ناحية معاوية واقتتلوا قتالاً يسيراً ، وتقدّمت طائفة منهم إلى شاطئ الفرات ليستقوا فمنعهم جيش الشام . فأرسل الإمام عليه السلام صعصعة بن صوحان إلى معاوية يعاتبه على منعه الماء وجرى بينهم كلام طويل ، وقد سبق أن نصح عمرو بن العاص معاوية ، وأمره أن يفسح المجال لأصحاب الإمام كي يشربوا من الماء ، ولكن غرور معاوية ولؤمه منعه من قبول النصيحة . وقال معاوية لأهل الشام : هذا أوّل الظفر ، لا سقاني الله ولا أبا سفيان

إنْ شَرِبُوا منه حتّى يُقتلوا بأجمعهم .

فتباشر أهل الشام بالغلبة على عدوّهم عن طريق حبس الماء عنهم! فقام رجل همداني من جيش معاوية وقال: يا معاوية! سبحان الله سبقتم القوم إلى الفرات وتمنعونهم الماء ؟ أما والله لو سبقكم عليه عليٌّ لسقاكم منه ، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات ؟! أما تعلمون أنّ فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومَن لا ذنب له ؟! هذا والله أوّل الجور . فأغلظ له معاوية في الكلام ، وقال لعمرو: أكفني صديقك ، فأتاه عمرو وقابله بالكلام الخشن ، فسار الهمداني في سواد الليل حتى لحق بجيش الإمام عليه السلام .

ومكث أصحاب الإمام عليه السلام يوماً وليلة بغير ماء ، واغتمّ الإمام عليه السلام من عَطَشِ أصحابه ، وقال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّ عليّاً لا يموت عطشاً ، ومعه تسعون ألفاً من أهل العراق أو يزيدون ، وسيوفهم على عواتقهم ، دعهم يشربون وتشرب . فقال معاوية: لا والله ، او يموتوا عطشاً كما مات عثمان .

وخرج الإمام تلك الليلة يدور في عسكره ، فسمع قائلاً يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات
وفينا عليٌّ وفينا الهدى
وفينا الصلاة وفينا الصيام
وفينا المناجون تحت الدجى

ثمّ مرّ بآخر، فسمعه يقول:

أيمنعنا القوم ماء الفرات
وفينا الرماح وفينا الحُجف
وفينا عليٌّ له صولة
إذا خوفوه الردى لم يخف
ونحن غداة لقينا الزبير
وطلحة خضنا غمار التلف
فما الناس أمس أسد العرين
وما بالنا اليوم شاة عُجف

واُلقي على الأشعث بن قيس، وكان حينذاك في جيش الإمام عليه السلام، رقعة فيها شعر، فلمّا قرأها هاجت فيه الحميّة، فأخذها ودخل على الإمام عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين! أيمنعنا القوم ماءَ الفرات وأنت فينا والسيوف بأيدينا؟! خلِّ عنّا وعن

القوم ، فوالله لا نرجع حتّى نرده أو نموت .

فقال الإمام عليه السلام : « ذلك إليكم » .

فرجع الأشعث فنادى في الناس : مَن يريد الماء أو الموت ، فميعاده موضع كذا ، فإنّي ناهض .

فخرج اثنا عشر ألف رجل من قبيلة كِندة وغيرهم ، واضعي سيوفهم على عواتقهم ، وأقبل مالك الأشتر بخيله ، فحَملوا على الفرات حملة رجل واحد ، وأخذت السيوف أهل الشام مأخذاً عظيماً ، فولّوا الدبر ، حتّى غمست خيل الإمام سنابكها في الفرات واستولوا على الشريعة وأزالوا أبا الأعور السلمي عنها ، وقتل مَن قُتل منهم ، وغرق من غرق منهم ، ومن خيولهم ، وصارت الشريعة بأيدي جيش الإمام عليه السلام فقالوا : لا والله لا نسقيهم . فأرسل إليهم الإمام عليه السلام أن خذوا حاجتكم من الماء ، وخلّوا بينهم وبين الماء ، فإنّ الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم . فقال بعضهم للإمام عليه السلام إمنعهم الماء كما منعوك . فقال عليه السلام : « لا ، خلّوا بينهم وبينه ، لا أفعل ما فعله الجاهلون » .

هذا الفرق بين العدل والجور ، وبين الحقّ والباطل .

واستأذن معاوية وروده المشرعة ، فأباح الإمام له ذلك ،

وكان جُلّ همّه المحافظة على السلام والأمان بقدر الإمكان ، كما فعل بأصحاب الجمل في البصرة .

أرسل الإمام عليه السلام الأشخاص إلى معاوية للتفاهم معه وحسم النزاع ، وعدم إراقة وسفك الدماء ، وإلقاء الحجّة عليه ، ولكنّ معاوية كان مصرّاً على الحرب والقتال .

وأخيراً اصطدم العسكران واشتعلت نار الحرب ، فزحف بعضهم على بعض ، وتراموا بالنبال والحجارة حتى فنيت ، ثمّ تطاعنوا بالرماح حتى تكسّرت ، ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد ، فلم يُسمع إلّا وقع الحديد ، وانكسفت الشمس ، وأمطرت السماء دماً ، وحملت الأفواج على الأفواج ، واستمرّ القتال متواصلاً ستاً وثلاثين ساعة ، واقترب جيش الإمام من مقرّ قيادة الجيش الأُموي ، وطلب معاوية فرساً ليهرب ، وكان أهل الشام ينادون : يا معشر العرب ، الله الله في الحرمات من النساء والبنات ! الله الله في البقيّة ! لقد فنيت العرب !

واقترب الجيش العلوي من الفتح ، ولاح لهم الظفر والنصر وتوجّه الخطر إلى معاوية ، ولم يستطيع المقاومة إلّا عن طريق الخدعة والمكر والحيلة ، وبعد مشاورة عمرو بن العاص أمر

معاوية أصحابه في جوف الليل أن يربطوا المصاحف على رؤوس الرماح ، وما أن أصبح الصباح وإذا بأهل الشام رافعين خمسمائة مصحف على رؤوس رماحهم ، وينادون بما تقدّم من كلامهم ، ويستعطفون أهل العراق ، ويطلبون منهم ترك الحرب ، وكان آخر كلامهم : هذا كتاب الله بيننا وبينكم .

فقال الإمام عليه السلام : « اللّهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون » . وقال : « كلمة حقّ يراد بها باطل » .

ومن هذا المنطلق وهذه المكيدة، اختلف أصحاب الإمام عليه السلام فطائفة منهم قالت : القتال حتى النصر . وطائفة منهم قالت : المحاكمة إلى الكتاب ، ولا يحلّ لنا أن نقاتلهم وقد دعينا إلى حكم الله في الكتاب .

فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها ، وكان عدي بن حاتم الطائي يرى أنّ الفتح والنصر قد اقترب ، ويطلب من الإمام الاستمرار في الحرب ، وقام عمر بن الحمق الخزاعي وطلب من الإمام أن يعمل بما يرى ، فقام الأشعث بن قيس وقابل هؤلاء بالكلام الخشن ، وطلب كفّ القتال ، ـ عليه لعنة الله ـ وهذا أوّل تمرّد وخيانة فقال الإمام عليه السلام : « إنّي أحقّ من

أجاب إلى كتاب الله ، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي سرح وابن أبي معيط وابن مسلمة ليسوا بـأصحاب ديـن ولا قرآن ، وإنّي أعرف بهم منكم ، صحبتهم صغاراً ورجالاً ، فكانوا شرّ صغار وشر رجال . ويحكم أنّها كلمة حقّ يراد بها الباطل ، إنّهم ما رفعوها ليعرفونها ويعملون بها ، ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة ، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ، ولم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا» .

واستمرّت الحرب من يوم شروعها إلى صبيحة ليلة الهرير مائة وعشرة أيام ، وبلغ عدد القتلى من أهل الشام تسعين ألفاً ، ومن أهل العراق عشرين ألفاً ، فكان مجموع القتلى مائة وعشرة آلاف قتيل ، كما ذكر المسعودي .

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، لمصلحة مَن سُفِكت هذه الدماء ؟!

وجاء إلى الإمام من أصحابه زهاء عشرين ألفاً ، بتحريض من الأشعث بن قيس رأس الفساد ، وأوّل من جرّأ القوم عـلى التمرّد والعصيان ، مقنّعين في الحـديد ، حـاملي سـيوفهم عـلى عواتقهم ، وقد اسودّت جباههم من كثرة السجود ـ وهم الذين صاروا بعد ذلك خوارج ـ فنادوا الإمام باسمه لا بإمرة المؤمنين ،

وقالوا: يا عليّ! أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه ، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان ، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم .

فقال الإمام عليه السلام : « ويحكم أنا أوّل مَن دعا إلى كتاب الله ، وأوّل مَن أجاب . . . ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم ، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون » .

وكان مالك الأشتر في تلك الساعة يُقاتل ويتقدّم لحظة بعد لحظة ، وجيش معاوية ينسحب وينهزم وينقرض ساعة بعد ساعة ، ولو أمهلوا الأشتر ساعة واحدة لانتهت الحرب ، بانهزام جيش معاوية . فصاح هؤلاء: يا علي! ابعث إلى الأشتر ليأتيك . فبعث الإمام رجلاً إلى الأشتر أن ائتني . فقال الأشتر: ليس هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقعي ، إنّي رجوت الفتح فلا تعجلني .

رجع الرسول فأخبر الإمام ، وحمل الأشتر على أهل الشام وظهرت علامات الفتح ، ولكن القوم قالوا: يا علي! ما نراك إلّا أمرته بالقتال .

فقال الإمام: « أرأيتموني شاورت رسولي إليه ؟ أليس إنّما كلّمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون ؟ » .

فقالوا: ابعث إليه، وإلّا فوالله اعتزلناك.

فذهب الرسول مرّة ثانية إلى الأشتر وأخبر بتمرّد القوم واختلافهم، وما كان الأشتر يحبّ مغادرة جبهة القتال في تلك الساعة الحرجة، فقال له الرسول: أتحبّ أنّك ظفرت هـهنا، وإمامك بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويُسلّم إلى عدوّه ؟!

فقال الأشتر: سبحان الله! لا والله، لا أُحبُّ ذلك.

فقال الرسول: فإنّهم حلفوا عليه لترسلنّ إلى الأشتر فليأتيك، أو لنقتلنّك بأسيافنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلّمنّك إلى عدوّك.

أقبل الأشتر مغضباً وصاح بالقوم: يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم القوم وظنّوا أنّكم قاهروهم رفعوا المصاحف يدعوكم إلى ما فيها ... فلا تجيبوهم، أمهلوني فإنّي قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا نمهلك.

وجرى كلام طويل بينهما حتى آل الأمر إلى السبّ، والشتم والصياح، فصاح الإمام بهم: «كفّوا». فصاح القوم أنّ أمير المؤمنين قد رضي المحاكمة بحكم القرآن!

وكان الإمام ساكتاً لا يتكلم طيلة هذه الفترة ، ولمّا سكتوا ، قال : «أيّها الناس ! إنّ أمري لم يزل معكم على ما أُحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب . . . إلّا إنّي أمس أمير المؤمنين ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً ، وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون» .

فاضطربت أقوال الرجال ، وقام الرؤساء وتكلّموا بما تكلّموا من الموافقة على رأي الإمام ورفض المحاكمة ، ولكنّ المهرّجين نشروا هذه الكلمة : إنّ أمير المؤمنين رضي التحكيم .

ودخل الأشعث بن قيس ، واستأذن من الإمام أن يكون رسولاً إلى معاوية من قِبله ، فأذن له . فجاء الأشعث ودخل على معاوية وقال : لأيّ شيء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال معاوية : إلى ما أمر الله به فيها ، فابعثوا رجلاً منكم ترضون به ، ونبعث رجلاً منّا ، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ولا يعدوانه ، ثمّ نتّبع ما اتّفقنا عليه .

فرجع الأشعث ، فأقبل جماعة من أصحاب الإمام ، وجماعة أصحاب معاوية ، واجتمعوا بين الصَفّين ، وتذاكروا حول انتخاب الحكم ، فانتخب أهل الشام عمرو بن العاص ، وانتخب

الأشعث ونظراؤه أبا موسى الأشعري ، فرفض الإمام أبا موسى ولم يرض به؛ لأنّه كان عثماني الهوى ، وهو الذي خذّل أصحاب الإمام من الخروج لحرب عائشة في حرب الجمل بالبصرة ، وكان والياً للإمام على الكوفة ، وذلك على أثر رسالة أرسلتها عائشة إليه ، تأمره بخذلان الناس عن نصرة الإمام ، حتى جاء مالك الأشتر وعزله عن إمرة الكوفة ، وطرده شرّ طردة كما سبق ذكره في حرب الجمل ، فذهب إلى الشام واحتمى بمعاوية . وبعد رفض الإمام أبا موسى ، قام الأشعث بن قيس وجماعته ، وقالوا: لا نرضى إلّا به . فلم يوافق الإمام وانتخب ابن عبّاس ليكون حكماً من قِبَلِه ، فلم يرض الأشعث ، بحجّة أنّ ابن عبّاس من أقاربه ، فاختار الإمام مالك الأشتر فلم يرضوا به .

جادل الأشعث الإمام بكل وقاحة وصلافة ، وردّ عليه جميع مقترحاته ، وبقي مصرّاً على انتخابه الأشعري ، فقال الإمام: «فاصنعوا ما شئتم» . وكان يصفق بيديه ويقول: «يا عجباً أأُعصى ويطاع معاوية ؟!» .

ثمّ أرسلوا إلى أبي موسى الأشعري ، وكان بالشام ، فجاءَ إلى معسكر الإمام ، فجاء الأشتر ورشّح نفسه ليكون هو الحكم ،

وجاء الأحنف بن قيس وحذّر الإمام من الأشعري وعجزه وضعف نفسه ، ورشّح نفسه للحكم ، فوافق الإمام على ذلك ، ولكنّ الغوغائية اتّبعوا رأي الأشعث وقالوا: لا يكون إلّا أبو موسى الأشعري .

وكتبوا كتاب الموادعة وهذه صورته: هذا ما تقاضى عليه عليٌّ أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان . . . فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: بئس الرجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثمّ قاتلته .

أعادوا الكتاب إلى الإمام فأخبروه ، فأمر بمحو كلمة «أمير المؤمنين» فنهاه الأحنف عن ذلك ، فقال الأشعث: امح هذا الاسم ، فقال الإمام: «إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية ، حين كتب الكتاب عن رسول الله ﷺ: هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله ، وسهيل بن عمرو . . . فقال سهيل: لو أعلم أنّك رسول الله لم أُقاتلك ولم أُخالفك ، إنّي إذاً لظالم لك ، ولكن اكتب: محمّد بن عبدالله . فقال لي رسول الله ﷺ: يا عليّ! إنّي لرسول الله ، وأنا محمّد بن عبدالله ولن يمحو عنّي الرسالة كتابي لهم؛ إنّ ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين ، واليوم أكتبه إلى أبنائهم

كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شبهاً ومثلاً» .

فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! أتشبّهنا بالكفّار ونحن مسلمون ؟

فقال الإمام : « يابن النابغة ! ومتى لم تكن للكافرين وليّاً وللمسلمين عدوّاً ؟ » .

ولمّا أرادوا تنظيم الكتاب سألوا الإمام : أتقرّ أنّهم مسلمون مؤمنون ؟

فقال الإمام : « ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون ، ولكن يكتب معاوية ما شاء ، ويقرّ بما شاء لنفسه ولأصحابه ، ويسمّي نفسه بما شاء وأصحابه » .

فكتبوا الكتاب وكان في أعلاه ختم الإمام ، وفي أسفله خاتم معاوية ، وشهد الشهود عليها ، وخرج الأشعث بالكتاب ، وقرأه على أهل العراق ، فهاج الناس ، وظهرت الفتنة والانقسام والتفرقة ، وتكوّنت فرقة الخوارج وصاحوا : لا حكم إلّا لله ، فأين قتلانا يا أشعث ؟ وحمل بعضهم على الأشعث ليقتله . وأقبلوا إلى الإمام مستنكرين الحكم وطلبوا من الإمام نقض العهد والرجوع إلى الحرب فقال الإمام : « ويحكم أبعد الرضى

والميثاق والعهد نرجع ؟! أليس الله تعالى قد قال: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (١) ، وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ (٢) ، فبرأ الخوارج من الإمام وبرأ منهم .

وأقبل الجيش يستأذنون الإمام بالهجوم على معاوية ، فقال الإمام عليه السلام : «لو كان هذا قبل المعاهدة وسطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم» .

وكان من التحكيم أنّه توجّه الأشعري للاجتماع بابن العاص للمحاكمة ، فحذّره الناس من مكيدة ابن العاص وغدره وسوء سوابقه ، حتى يتّخذ التدابير اللازمة ، ويكون على بصيرة من أمره ، ولكن كان كل هذا بلا جدوى ، بل كانت النتيجة معكوسة .

واجتمع الحكمان في المكان المعدّ لهما فقال عمرو: تكلّم يا أبا موسى ، فقال الأشعري : بل أنت تكلّم . فقال عمرو :

---

(١) المائدة / ١.

(٢) النحل / ٩١.

ما كنت لأفعل وأُقدِّم نفسي قبلك، ولك حقوق كلّها واجبة.

فتكلّم أبو موسى، فقال عمرو: إنّ للكلام أوّلاً وآخراً، ومتى تنازعنا الكلام لم نبلغ آخره حتى ننسى أوّله، فاجعل ما كان من كلامٍ بيننا في كتاب يصير إليه أمرنا؟ فقال أبوموسى: اكتب، ودعا عمرو بصحيفةٍ وكاتب.

وبعد سؤال وجواب، وخداع وتزوير، قال الأشعري: قد علمت أنّ أهل العراق لا يحبّون معاوية أبداً، وأنّ أهل الشام لا يحبّون عليّاً أبداً، فهلمّ نخلعهما، ونستخلف عبدالله بن عمر بن الخطّاب. فقال عمرو: أيفعل ذلك ابن عمر؟ قال: نعم إذا حمله الناس على فعل ذلك فعل. فقال عمرو: فهل لك في سعد بن أبي وقّاص؟ قال: لا فذكر ابن العاص جماعة، والأشعري لا يرضى بهم، وكلّ هذا كان مراوغة من ابن العاص ليستغفله، فقال عمرو: قم واخطب. فقال الأشعري: قمّ أنت واخطب. فامتنع ابن العاص فقام الأشعري وخرج من الخيمة، وقد اجتمع أربعمائة رجل من أصحاب الإمام، ومثلهم من أصحاب معاوية، فقال الأشعري في خطبته: أيّها الناس! إنّا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولمّ الشعث وحقن

الدماء وجمع الأُلفة خلعنا عليّاً ومعاوية ، وقد خلعت عليّاً كما خلعت عمامتي هذه وخلع عمامته المشؤومة .

ثمّ قام عمرو وقال : «أيّها الناس ! إنّ أبا موسى عبدالله بن قيس قد خلع عليّاً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو أعلم به ، ألا وإنّي خلعتُ عليّاً وأُثبّت معاوية عليَّ وعليكم .

فقال الأشعري : كذب عمرو لم نستخلف معاوية ، ولكنّا خلعنا معاوية وعليّاً .

فقال عمرو : بل كذب عبدالله بن قيس ، قد خلع عليّاً ولم أخلع معاوية .

فقال الأشعري : مالك لا وفّقك الله ؟! غدرت وفجرت؛ إنّما مثلك كمثل الكلبِ إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فقال عمرو : بل إيّاك يلعن الله ، كذبت وغدرت ، إنّما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً . فضرب عمرو أبا موسى فسقط ، وضرب شريح عمرواً بالسوط ، فركب الأشعري راحلته وتوجّه إلى مكّة وحلف أن لا ينظر في وجه عليّ .

إلى هنا انتهت مهزلة التحكيم وملابساتها ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

واقعة النهروان

لمّا تقرّر التحكيم غادر الإمام عليه السلام صفّين وقصد الكوفة، وبقي فيها ينتظر إنهاء مدّة الهدنة؛ ليعيد الحرب والقتال، وبعد فشل التحكيم انشقّت أُمّة من جيش الإمام وتمرّدت عليه، وعزت فشلها إلى قبول الإمام بالتحكيم، فتكوّنت فرقة «الخوارج» كما أخبر به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وسمّاهم «المارقون» فقد مرقوا من الدين كما مرق السهم من الرمية.

وأوّل مَن انفصل من جيش الإمام بعد وصولهم الكوفة أربعة آلاف مقاتل من أصحابه، وهم المعروفون بالنسك والعبادة، وأصحاب الجباه السود من السجود، وتكتّلوا كتلة واحدة ضدّ الإمام، فخرجوا من الكوفة لإعلان المخالفة والانشقاق، وأطلقوا شعارهم المعروف «لا حكم إلّا لله ولا طاعة لمن عصى الله». وانضمّ إليهم ممّن يرى رأيهم من أهل الكوفة والبصرة

وغيرها ثمانية آلاف آخرون ، فصاروا اثني عشر ألفاً ، وساروا قاصدين الحروراء ، وتجمّعوا فيها وجعلوها مقرّاً لهم . وحروراء قرية قرب الكوفة على ميلين منها .

ونادى مناديهم : إنّ أمير القتال شبث بن ربعي ، وأمير الصلاة عبدالله بن الكوّا ، والأمر شورى بعد الفتح ، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

دخل زرعة الطائي وحرقوص بن زهير ـ ذو الثدية ـ على الإمام ، فقالا : لا حكم إلّا لله .

فقال الإمام عليه السلام : «كلمة حقٍّ يراد بها الباطل» .

فقال ذو الثدية : تب من خطيئتك ، وراجع عن قصتك ، واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا .

فقال عليه السلام : «قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً، وأعطينا عليهم عهوداً ومواثيق ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ »(١) .

فقال ذو الثدية : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه .

---

(١) النحل / ٩١.

فقال عليه السلام: «ما هو ذنب ولكنّه عجز من الرأي وضعف في العقل وقد تقدّم فنهيتكم عنه».

فقال ابن الكوّا: الآن صحّ عندنا أنّك لست بإمام، ولو كنت إماماً لما رجعت.

فقال عليه السلام: «ويلكم قد رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية عن قتال أهل مكّة».

فقال زرعة: أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتلنّك اطلب بذلك وجه الله ورضوانه.

فقال عليه السلام: «بؤساً لك، ما أشقاك، كأنّي بك قتيلاً، تسفي عليه الرياح».

قال زرعة: وددت أنّه كان ذلك.

وبعث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام صعصعة بن صوحان مع زياد ابن النضر وعبدالله بن العبّاس إلى القوم فلم يرتدعوا، فدعا الإمام صعصعة وقال له: «بأيّ القوم رأيهم أشدّ طاعة؟» فقال صعصعة: بيزيد بن قيس الأرحبي.

فركب الإمام عليه السلام إلى حروراء، حتى وصل إلى خيمة يزيد بن قيس فصلّى هناك ركعتين ثمّ خرج، فاتّكأ على قوسه، وأقبل

على المنشقّين فقال: «هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامة».

ثمّ تكلّم وناشدهم فقال لهم: «ألا تعلمون أنّ هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصاحب قلت لكم: إنّ هذه مكيدة ووهن، ولو أنّهم قصدوا إلى حكم المصاحف لأتوني وسألوني التحكيم؟».

قالوا: صدقت.

قال: «أفتعلمون أنّ أحداً أكره إلى التحكيم منّي؟».

قالوا: لا.

قال: «فهل تعلمون أنّكم استكرهتموني على ذلك حتّى أجبتكم، فاشترطت أن حكمها نافذ ما حكما بحكم الله، فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء، وأنتم تعلمون أنّ حكم الله لا يعدوني؟».

فقال ابن الكوّاءِ: حكّمت في دين الله برأينا، ونحن مقرّون بأنّا كفرنا، ولكن الآن تائبون، فأقرر بما أقررنا به، وتب ننهض معك إلى الشام.

فقال عليه السلام: «أما تعلمون أنّ الله قد أمر بالتحكيم في شقاق بين الرجل وامرأته، فقال سبحانه: ﴿فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ

وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا﴾[1] وفي صيد ـ كأرنب ـ يساوي نصف درهم فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ﴾[2].

فقالوا له: فإنّ عمرو بن العاص لما أبى أن تقول في كتابك: هذا ما كتبه عبدالله عليّ أمير المؤمنين، محوت اسمك من الخلافة وكتبت: عليّ بن أبي طالب، فقد خلعت نفسك.

فقال عليه السلام: «لي أُسوة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: هذا ما كتبه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهيل بن عمرو، وقال: لو أقررت بأنّك رسول الله ما خالفتك، ولكنّي أُقدّمك لفضلك، فاكتب محمّد بن عبدالله، فقال لي: يا عليّ! امح كلمة رسول الله، فقلتُ: يا رسول الله! لا تشجّعني نفسي على محو اسمك من النبوة. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: دلّني عليه. فمحاه بيده الشريفة، ثمّ قال: اكتب محمّد بن عبدالله. ثمّ تبسّم إليَّ وقال: إنّك لتسام مثلها فتعطي».

فقالوا: إنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تُبنا، فتب إلى الله

---

(١) النساء / ٣٥.

(٢) المائدة / ٩٥.

كما تبنا، نعد لك.

فقال عليه السلام: «استغفر الله من كلّ ذنب».

فرجع معه منهم ستة آلاف، فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ عليّاً رجع عن التحكيم ورآه ضلالاً. وقالوا: إنّما ينتظر أن يسمن الكراع ويجيءَ المال، ثمّ ينهض بنا إلى الشام. فأتى الأشعث بن قيس عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالاً، والإقامة عليها كفراً.

فقام الإمام عليه السلام فخطب وقال: «مَن زعم أنّي رجعت عن الحكمين فقدكذب، ومَن رآها ضلال فقد ضلّ».

فخرجت الخوارج من المسجد، ثمّ توجّهت إلى النهروان «وهم الستّة آلاف الذين رجعوا معه من حروراء إلى الكوفة» والتحقوا بجماعتهم، والنهروان قريبة من حروراء، استعداداً لاشتعال نار الحرب ضدّ جيش الإمام.

وقد وقعت لهم في طريقهم إلى النهروان، مفارقات عجيبة وقضايا مبكية ومضحكة، وشرّ البلية ما يُضْحِك.

فمنها: أنّهم وجدوا في طريقهم مسلماً ونصرانياً، فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم،

واستوصوا بالنصراني وقالوا: احفظوا ذمّة نبيّكم.

ووثب رجل على رطبة سقطت من نخلة فوضعها في فمه فصاحوا به، حتى لفظها تورّعاً.

ورأى أحدهم خنزيراً فضربه وقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض وأنكروا عليه قتل الخنزير.

وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقالوا: ما كنّا لنأخذها إلّا بالثمن. فقال النصراني: واعجباه أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ولا تقبلون منّا نخلة إلّا بالثمن؟!

أمّا العبد الصالح عبدالله بن خباب الأزدي، فإنّه كان راكباً على حمار ومعه زوجته وهي حامل، فسألوه عدّة أسئلة، منها: فما تقول في عليٍّ بعد التحكيم؟

قال: إنّ عليّاً أعلم وأشدّ توقياً على دينه، وأنفذ بصيرة.

قالوا: إنّك تتبع الهوى، إنّما تتبع الرجال على أسمائهم.

ثمّ قرّبوه على شاطئ النهر فأضجعوه وذبحوه، ثمّ عمدوا إلى امرأته فشقّوا بطنها وهي حامل.

وصل القوم إلى النهروان والتحق بهم المنشقّون الذين كانوا بحروراء وتوجّه الإمام عليه السلام بجيشه إليهم، فقال عليه السلام: «يابن

عبّاس! امض إلى هؤلاء القوم، فانظر ما هم عليه، ولماذا اجتمعوا؟ فلمّا وصل إليهم، قالوا: ويحك يابن عبّاس، كفرت بربّك كما كفر صاحبك عليّ بن أبي طالب. وخرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثعلبي فسأله ابن عبّاس: مَن بنى الإسلام؟ أجابه عتاب: الله ورسوله.

فقال ابن عبّاس: النبي أحكم أُموره وبيّن حدوده أم لا؟

فقال عتاب: بلى.

فقال ابن عبّاس: فالنبيّ بقي في دار الإسلام أم ارتحل؟

فقال عتاب: بل ارتحل.

فقال ابن عبّاس: فأُمور الشرع ارتحلت معه أم بقيت؟

فقال عتاب: بل بقيت بعده.

فقال ابن عبّاس: فهل قام أحد بعده بعمارة ما بناه؟

فقال عتاب: نعم، الذرّية والصحابة.

فقال ابن عبّاس: فعمّروها أو خرّبوها؟

فقال عتاب: بل عمّروها.

فقال ابن عبّاس: فالآن هي معمورة أم خراب؟

فقال عتاب: بل خراب

فقال ابن عبّاس : خرّبها ذرّيّته أم أُمّته ؟

فقال عتاب : بل أُمّته .

فقال ابن عبّاس : أنت من الذرّية أو من الأُمّة ؟

فقال عتاب : من الأُمّة .

فقال ابن عبّاس : أنت من الأُمّة وخَربت دار الإسلام ، فكيف ترجو الجنّة ؟

فقالوا : ليخرج إلينا عليٌّ بنفسه لنسمع كلامه ، عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه .

فرجع ابن عبّاس فأخبر الإمام بما حصل ، فركب عليه السلام في جماعة ، ومضى إليهم ، فركب ابن الكوّاء في جماعة منهم ، فلمّا التقوا ، قال الإمام عليه السلام : « يابن الكوّاء ! إنّ الكلام كثير ، فابرز إليَّ من أصحابك لأُكلّمك » . فقال : أنا آمن من سيفك ؟ قال عليه السلام : « نعم » .

فخرج إليه في عشرة من أصحابه ، فقال لهم عليه السلام : « ألم أقل لكم إنّ أهل الشام إنّما خدعوكم بها ـ الحكومة ورفع المصاحف وغير ذلك ـ فإنّ الحرب قد عضّتهم فذروني أُناجزهم فأبيتم ؟ ألم أُرد نصب ابن عمّي ـ ابن عبّاس ـ وقلت : إنّه لا ينخدع فأبيتم

إلّا أبا موسى الأشعري . وقلتم : رضينا بـه حَـكَماً ، فـأجبتكم كارهاً ؟ ولو وجدتُ في ذلك الوقت أعواناً غيركم لما أجبتكم ، وشرطت على الحكمين بحضوركم ، أن يحكما بما أنـزل الله مـن فاتحته إلى خاتمته ، والسنّة والجماعة ، وأنّهما إن لم يفعلا فلا طاعة لهما عليَّ ، كان ذلك أو لم يكن ؟ » .

قال ابن الكوّاء : صدقت ، كان هذا كلّه ، فَلِمَ لا نرجع الآن إلى حرب القوم ؟

قال الإمام عليه السلام : « حتّى تنقضي المدّة التي بيننا وبينهم » .

قال ابن الكوّاء : وأنت مجمع على ذلك ؟

قال عليه السلام : « نعم ، لا يسعني غيره » .

فعاد ابن الكوّاء والعشرة الذين معه إلى أصحاب الإمام عليه السلام راجعين عن دين الخـوارج ، وتـفرّق البـاقون وهـم يـقولون : لا حكم إلّا لله . وأمّروا عليهم عبدالله بن وهب الراسـبي ، وذا الثدية ، وعسكروا بالنهروان ، وخرج الإمام عليه السلام حتى بقي على فرسخين منهم ، وكاتبهم وراسلهم ، فلم يرتدعوا ، فأمر الإمام ابن عبّاس أن يركب إليهم ، وقال : « سلهم ما الذي نقموه ؟ وأنا ردفك فلا تخف منهم » .

فلمّا جاءهم ابن عبّاس قال: ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين ؟ قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضراً لكفّرناه بها. والإمام يسمع كلامهم ، فقال ابن عبّاس: يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم وأنت أحقّ بالجواب.

فتقدّم عليه السلام وقال: «أيّها الناس ، أنا علي بن أبي طالب ، فتكلّموا بما نقمتم عليّ».

قالوا: نقمنا عليك أوّلاً أنّا قاتلنا بين يديك بالبصرة ، فلمّا أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم ومنعتنا النساء والذرية ، فكيف حلّ لنا ما في العسكر ولم يحلّ لنا النساء ؟

فقال عليه السلام: «يا هؤلاء! إنّ أهل البصرة قاتلونا بالقتال ، فلمّا ظفرتم بهم قسمتم سلَب من قاتلكم ، ومنعتكم من النساء والذرّية ، فإنّ النساء لم يقاتلن والذرّية ولدوا على الفطرة ، ولم ينكثوا ولا ذنب لهم ، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منّ على المشركين ، فلا تعجبوا إن مننت على المسلمين ، فلم أسب نساءهم ولا ذرّيتهم».

قالوا: نقمنا عليك يوم صفّين كونك محوتَ اسمك من إمرة المؤمنين فإذن لم تكن أميرنا ، ولست أميراً لنا.

قال ﷺ : « يا هؤلاء ! إنّما اقتديت برسول الله ﷺ حين صالح سهيل بن عمرو » .

قالوا : نقمنا عليك أنّك قلت للحكمين : انظروا كتاب الله ، فإن كنت أفضل من معاوية فأثبتاني في الخلافة ، فإذا كنت شاكّاً في نفسك ، فنحن فيك أشدّ وأعظم شكّاً .

قال ﷺ : « إنّما أردت بذلك النصفة ـ الانصاف ـ فإنّي لو قلت : احكما لي دون معاوية لم يرضَ ولم يقبل ، ولو قال النبيّ ﷺ لنصارى نجران لمّا قدموا عليه : « تعالوا نبتهل فأجعل لعنة الله عليكم ، لم يرضوا ، ولكن أنصفهم من نفسه ، فكذلك فعلت أنا ، ولم أعلم بما أراد عمرو بن العاص من خديعة أبي موسى » .

قالوا : فإنّا نقمنا عليك إنّك حكّمت حكماً في حقّ هو لك .

فقال ﷺ : « إنّ رسول الله ﷺ حكّم سعد بن معاذ في بني قريظة ولو شاء لم يفعل ، وأنا اقتديت به ، فهل بقي عندكم شيء ؟ » .

فسكتوا وصاح جماعة منهم من كلّ جانب : التوبة التوبة يا أمير المؤمنين . فأعطى الإمام راية أمان مع أبي أيّوب

الأنصاري ، فناداهم أبو أيّوب : مَن جاء إلى هذه الراية أو خرج من الجماعة فهو آمن . فرجع منهم ثمانية آلاف ، فأمر الإمام عليه السلام المستأمنين بالاعتزال .

وبقي أربعة آلاف منهم مستعدّين للقتال ، فخطبهم الإمام عليه السلام ووعظهم فلم يرتدعوا ، وصاح مناديهم : دعوا مخاطبة عليّ وأصحابه ، وبادروا إلى الجنّة ، وصاحوا : إلى الجنّة . وتقدّم حرقوص ذو الثدية ، وعبدالله بن وهب وقالا : ما نريد بقتالنا إيّاك إلّا وجه الله والدار الآخرة .

فقال عليه السلام : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾(١).

فكان أوّل من خرج أخنس بن العزيز الطائي ، فقتله الإمام عليه السلام وخرج عبدالله بن وهب ، ومالك بن الوضّاح ، وبرز الإمام إليهم وقتل الوضّاح وضربه ضربة على رأس الحرقوص وقتله ، وأمر أصحابه بالهجوم على العدو .

---

(١) الكهف / ١٠٣ ـ ١٠٤.

وعندما استعرت الحرب والتهبت نيرانها ، صاح عبدالله بن راسب : يابن أبي طالب ، والله لا نبرح من هذه المعركة حتى نأتي على أنفسنا أو نأتي عليك ، فابرز إليَّ وأبرزُ إليك ، وذر الناس جانباً ، فلمّا سمع الإمام كلامه تبسّم وقال : «قاتله الله من رجل ما أقلّ حياءه ، أما إنّه ليعلم أنّي لحليف السيف ، وخدين الرمح ، ولكنّه قد يئس من الحياة ، وإنّه ليطمع طمعاً كاذباً» . ثمّ حمل عليه الإمام فضربه وقتله وألحقه بأصحابه في النار .

واختلط الجيشان فلم تكن إلّا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم وكانوا أربعة آلاف ، ولم ينج منهم إلّا تسعة رجال ، فرجلان هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان وبها نسلهما ، ورجلان صارا إلى اليمن وفيها نسلهما ، وهم الأباضية ، ولا يزالون ، ورجلان إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن والبواريج نواحي تكريت في شمال العراق ، بعد مدينة سامراء ، ومن نسلهم [صدام التكريتي] ، والباقون تفرّقوا في المغرب العربي ، ولا يزال نسلهم بين ليبيا والجزائر .

وقتل من أصحاب الإمام عليه‌السلام تسعة بعدد من سلم من الخوارج ، وكان عليه‌السلام قد أخبر بذلك قبل بدء المعركة ، فكانت

وللمزيد راجع ما ذكره الحفّاظ في كتبهم وتواريخهم منهم:

ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمّة» ط. النجف من ص١٠٨ ـ ١١١.

المسعودي في «مروج الذهب» ج٢ من ص٤٠٢ إلى ٤١١ ط. ايران قم.

ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ج٣ في ترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام من ص ١٩١ ـ ٢٠٠.

الطبري في «تاريخ الأمم والملوك» ج٤، ص٥٢ ـ ٦٧، ط. ـ بيروت.

العلّامة الأميني في غديره والعلّامة المجلسي في بحاره.

العلّامة السيّد محسن الأمين في «رحاب أئمّة أهل البيت» ج٢، ص٢٢٢ ـ ٢٣٧، ط. دار التعارف ـ بيروت.

وغيرهم من الصحاح والمسانيد المعنيّة بهذا التاريخ.

وبهذه الوجازة اختتم ما عاناه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الطامعين، والحاسدين، والحاقدين الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والعاقبة للمتّقين.

خلاصة البحث

لم يزل الصراع التاريخي منذ اليوم الأوّل من الخلقة قائماً بين الحقّ والباطل، وبين النور والظلام، وبين الخير والشرّ، وقد تمثّل بمعسكرين: معسكر الرحمٰن، ومعسكر الشيطان، وكان المعسكر الأوّل يجسّده آدم نبي الله، والمعسكر الثاني يتمثّل بإبليس عدّو الله، ولا يزال هذا الصراع قائم بين الإيمان والكفر، ولكلّ من هذين المعسكرين اتباع على مرّ العصور والأحقاب، حتى جاء دور «عمرو العلى هاشم» و«شيبة الحمد عبدالمطلّب» الذي يمثّل الإيمان، والقيم الإنسانية والفضائل ومكارم الأخلاق، يقابله «عبدشمس وأُميّة» الذي يمثّل معسكر الكفر والإلحاد والشرك.

ثمّ جاء دور خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد ﷺ ليجابهه كفّار قريش وفراعنة عصرهم، وليصمد أمام عدوانهم وكان على رأسهم أبوجهل، وصخر بن حرب أبو سفيان وغيرهم من الذين أثاروا الحروب المرّة تلو الأُخرى ضدّ الرسول ﷺ في بدر، وأُحد، والأُحزاب، وحنين وغيرها وكان النصر حليف الإيمان، وقد اشتدّ الاصطدام واحتدم بعد رحيل الرسول الأعظم ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى.

بشكل وبآخر سيطر حكّام الانقلاب في يوم السقيفة، وأُخذوا بأيديهم زمام المبادرة، وتحمّلت الأُمّة من جرّاء ذلك ما تحمّلت

من ظلم وجور وتعسّف لا سيّما أهل البيت وأتباعهم وقد بلغ السيل الزبى، حتى قام المسلمون في أمصارهم بالثورة على الفساد الذي تفشّى في دست الحكم ووصل ذروته في عهد عثمان بن عفّان نتيجة سوء إدارته وسوء تصرّف عمّاله حتى أدّى ذلك إلى مقتله، عند ذلك أجمعت الأُمّة على تصحيح مسيرتها ورفع الجور عنها، والبيعة للإمام عليّ أمير المؤمنين خليفة لرسول ربّ العالمين. إلّا أنّ الحاقدين والحاسدين والطامعين، نكثوا البيعة وأثاروا الحروب ضدّ الإمام عليّ، بعد ما يأسوا من الحصول على أغراضهم الدنيوية من مناصب وأموال التي كانوا يتمتّعون بها أيام خلافة عثمان، بالإضافة إلى خوفهم من عدل عليّ عليه السلام لمحاسبتهم «من أين لك هذا؟». فزحفت جيوشهم من مكّة إلى البصرة بزعامة عائشة بنت أبي بكر، وطلحة بن عبيدة، والزبير بن العوام، وبمؤازرة بني أُميّة، وفي مقدّمتهم مروان بن الحكم، وعبد بن عامر عامل عثمان على مكّة، ويعلى بن منبّه، بعد سرقة ما في بيت مال المسلمين بمكّة من أموال، فكان ما كان من حربي الجمل الصغرى والكبرى في البصرة، كما سجّلها التاريخ، وراح ضحيتها زهاء أربع وعشرين ألفاً من الفريقين سوى ما ترك من المعوقين والأرامل واليتامى، في حرب الناكثين.

ثمّ جاء دور القاسطين المتمثّل بمعاوية بن أبي سفيان، ومؤازرة عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزياد بن أبيه ومروان بن الحكم وغيرهم، من الذين أعماهم الحقد الدفين، والحسد القاتل،

والطمع الجشع، والذين غرّتهم الدنيا وزبرجها، فاتّخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً وأثاروا الفتنة وأشعلوا نار الحرب في صفّين والتي راح ضحيّتها حوالي المأة وعشرين ألفاً من الفريقين،كلّ هذه الأرواح التي زهقت والدماء التي سفكت لمصلحة من؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

أعود فأقول وبعد أن لاح بوادر النصر لجيوش الحقّ بقيادة ا لإمام عليّ في صفّين، وبان الانكسار في جيوش المنافقين من أهل الشام في ساحة المعركة، تفتّقت ذهنيّة ابن النابغة عمرو بن العاص، في مكيدة رفع المصاحف، لزرع الخلاف في جيش الإمام عليّ عليه السلام ـ انطلاقاً من سياسة فرق تسد ـ ولقحت المكيدة وتزعّمها المنافق المرتدّ الأشعث بن قيس الكندي، وتبعته قبيلته من كندة وخلفائها وبعض من انخدع بهذه المكيدة، الشيطانية ومن يكره الحرب ويريد السلامة والعافية في التحكيم. وقد حاول الإمام عليّ عليه السلام إقناعهم على أنّ ما فعله ابن النابغة وابن أبي سفيان. ليس إلّا خدعة، وأنّها كلمة حقّ حقّ يراد بها باطل، وما هم من أهل القرآن ولا يعملون به، إلّا أنّهم جعلوا أصابعهم في آذانهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً، ولم ينصدع منهم لأمر الإمام عليه السلام أحد، ولم يكتفوا بذلك بل حدى بهم الأمر إلى تكفيره وتهديده بالقتل إن لم يقبل التحكيم، وبعد مهزلة التحكيم وفشله ورجوع جيش الإمام إلى الكوفة، خرج من المتمرّدين زهاء أربعة الآف منهم، ومرقوا من الدين مروق السهم من الرمية، واتّخذوا حروراء مقرّاً لهم ثمّ زحفوا بعدها إلى النهروان،

ووقعت المعركة المعروفة بحرب الخوارج في النهروان، راح ضحيّتها زهاء أربعة آلاف من المخدوعين.

وبعد الفراغ من حرب الخوارج ورجوع الإمام عليه السلام إلى عاصمة حكمه الكوفة أعلن عن تجهيز الجيش مرّة ثانية للزحف وخوض لهوات الحرب مجدّداً مع معاوية وأهل الشام بعد الانتهاء من فترة الهدنة، ليسترجع الحقّ الشرعي المغصوب إلى أهله، وإعادة الفئة الباغية إلى رشدها، إلّا أنّ يد الخوارج الأثيمة تصدّت للإمام عليّ عليه السلام واغتالته في محراب مسجد الكوفة، وهو يؤدّي صلاة الفجر، فضربه المجرم عبدالرحمن بن ملجم بالسيف المسموم على رأسه الشريف، فنادى الإمام نداءه الخالد «فزت وربّ الكعبة» وذلك في اليوم التاسع عشر من شهر الصيام المبارك سنة ٤٠ للهجرة النبوية الشريفة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وتمخّضت بعد ذلك حوادث رهيبة وخلت الأجواء لمعاوية وابن النابغة فزحف بجيوش أهل الشام على الكوفة، بعد أنّ مهّد معاوية طريقه بواسطة المنتفعين من عملائه بمكائده ومؤامراته في تخذيل أصحاب الإمام أبي محمّد الحسن عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه وآله وتقاعسهم عن نصرته، حتى اضطرّ إلى مهادنة معاوية ورجوعه إلى مدينة جدّه صلى الله عليه وآله، ولم يطل به المقام حتى خطّط معاوية لاغتيال الإمام الحسن عليه السلام بواسطة عملائه الأوغاد ودسّ إليه السم الناقع بواسطة زوجته الضالّة «جعدة بنت الأشعث»، زعيم حركة الانقلاب والغدر على الإمام علي عليه السلام في صفين. ولم يقف الصراع عند

هذا الحدّ بل تعدّاه إلى تصدّي قوى النفاق والإلحاد بزعامة الماجن يزيد الخزي والعار بعد هلاك معاوية فعاث في الأرض الفساد، وأوّل عمل إجرامي قام به، في أخذ البيعة له من الإمام السبط أبي عبدالله الحسين عليه السلام بيعة ذلّ وهوان، غير أنّ الإمام أبى ذلك، وقال نحن بيت النبوّة، ومعدن الرسالة ونفوس أبيّة، ويزيد فاسق فاجر شارب الخمور وقاتل النفس المحرّمة ومِثلي لا يبايع مِثله، فخرج من مدينة جدّه خائفاً يترقّب، وتوجّه إلى مكّة بطريقه إلى العراق، بدعوة من أهل الكوفة بآلاف الرسائل التي وردت عليه تدعوه للبيعة له، إلّا أنّ مشيئة الله التي لا رادّ لها أن يراه قتيلاً مضرّجاً بدمه هو وأهل بيته وأصحابه في أرض كربلاء يوم الطفوف، ويرى عائلته، وثقل رسول الله سبايا يقادون إلى الدعي ابن الدعي في الكوفة ثمّ إلى الشام، بعد حرب غير متكافئة بين جيش الضلال الذي ضمّ ثلاثين ألف مقاتل لمحاربة سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه البررة الذين لم يبلغوا السبعين مقاتلاً، هذا ما كان بعض أجرامه في السنة الأولى من تسلّطه على الحكم.

وفي السنة الثانية، جهّز يزيد الخزي والعار، جيشاً جرّراً بقيادة المجرم مسلم بن عقبة لغزو مدينة الرسول، في «يوم الحرة» فأباد المدينة وقتل النسل والحرث وهتك الأعراض، وقتل الأنفس البريئة من الأطفال والشيوخ والنساء، وأباحها لجنده ثلاثة أيام، في جرائم يَندىٰ لها جبين الإنسانية، وصار سبة الدهر والعار.

وفي السنة الثالثة من حكمه، وهي الأخيرة هجم بجيشه على

بيت الله الحرام الآمن وأحرق الكعبة وهدّمها «بالمنجنيق»، وفعل الأفاعيل وهتك الحرمات، خاصّة حرمة بيت الله الحرام الذي جعله الله آمناً لمن قصده منذ أن بناه إبراهيم الخليل عليه السلام والذي كان موضع تقديس الناس وحتى المشركين منهم في العصور الجاهلية الغابرة فضلاً عن المسلمين، وبذلك وصل الصراع الدائر بين الحقّ والباطل وبين الكفر والإيمان إلى أوجه، وفي أبشع صورة، منذ أن أجّجها عبدشمس واميّة، ضدّ هاشم، وعبدالمطّلب. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وما أروع ما وصف العلّامة كاشف الغطاء رحمه الله في نهضة الإمام الحسين عليه السلام حيث قال: «لولا شهادة أبي عبدالله الحسين صلوات الله عليه لكانت الشريعة أمويّة، ولعادت الملّة الحنيفيّة يزيدية، فحقّاً أقول: إنّ الإسلام علوي [النشأة] والتشيّع حسيني [البقاء]. أخي المسلم: لا يزال هذا الصراع مستمرّاً وسيبقى إلى أن يظهر الحجّة ابن الحسن عجّل الله فرجه ليملئها عدلاً وقسطاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً وعليك أن تعرف نفسك من أي الفريقين أنت؟ وفي أي المعسكرين مقامك. هذا ما لزم عرضه موجزاً ومنه سبحانه وتعالى استمدّ العون والتسديد فإنّه ولي التوفيق وانّه أرحم الراحمين

العبد المنيب حسين الشاكري
دار الهجرة ـ قم المقدّسة
الفاتح من محرّم الحرام ١٤١٩

المصـــادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ نهج البلاغة

٣ ـ الغدير للعلّامة الأميني

٤ ـ الفصول المهمّة ـ لابن الصبّاغ المالكي

٥ ـ مروج الذهب ـ للمسعودي

٦ ـ تاريخ دمشق ـ لابن عساكر

٧ ـ تاريخ الأُمم والملوك ـ للطبري

٨ ـ بحار الأنوار ـ للعلّامة المجلسي

٩ ـ في رحاب أئمّة أهل البيت ـ للسيّد محسن الأمين

١٠ ـ موسوعة المصطفى والعترة ـ للمؤلّف الشاكري

١١ ـ موسوعة عليّ في الكتاب والسنّة والأدب ـ للمؤلّف الشاكري وغيرها من المصادر المعتبرة

محتويات الكتاب

« الهَدَف »

مِنْ إحْياء تُراثِنا الإسْلامي، لِمَذْهَبِ أهْلِ البَيْتِ عليهم السلام

في أوْساطِ شَبابِنا الحائِرِ بَيْنَ التَّيَّاراتِ الغَرْبِيَّةِ، وَالشَّرْقِيَّةِ، المُشَبَّعَةِ بِسُمومِ أفْكارِ الصُّهْيونيَّةِ، وَالصَّليبيَّةِ، وَالشُّيوعِيَّةِ، بِتَخْطيطٍ مِنَ الماسونيَّةِ العالَمِيَّةِ.

وَغَزْوِ الآراءِ الشَّاذَّةِ الضَّالَّةِ مِنْ بَعْضِ المَذاهِبِ الَّتي تَدَّعي الإسْلامَ، لِتَفْرِقَةِ المُسْلِمينَ وَقَطْعِ الجُسورِ المُمْتَدَّةِ فيما بَيْنَهُمْ، وَتَكْفيرِ مَذْهَبِ أهْلِ البَيْتِ عليهم السلام .

وَلِلْوُقوفِ بِوَجْهِ تِلْكُمِ التَّيَّاراتِ المُنْحَرِفَةِ الضَّالَّةِ. لا سِيَّما بَيْنَ شَبابِنا الَّذينَ قَهَرَتْهُمُ الظُّروفُ القاسِيَةُ لِلإلْتِجاءِ إلى أحْضانِ الكَفَرَةِ لِسَدِّ حاجاتِهِمُ البيولوجِيَّةِ، «كَالمُسْتَجيرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بِالنَّارِ»

نَشَرْنا هذا الكَرَّاسَ لِتَوْعِيَتِهِم، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوفيق.

حُسَيْن الشَّاكِري